المشرق

آثار النصرانية في هياكل مصر الوثنية

للاب ميخائيل جوليان اليسوعي

ان السائح الذي يطوف ارض الفراعنة يُفتَن من محاسنها ويقضي العجب من آثارها. ولكن لا شيء يستوقف ابصاره كالهياكل العظيمة التي شيَّدها قدماء المصريين لاصنامهم ومنها ما يرتقي تاريخهُ الى ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ سنة فانهُ يجد في هندستها وبديع نقوشها ما ينطق بلسانٍ حالهِ عن تقدُّم الاقدمين وارتقائهم في معارج الفلاح

١

على ان من دقَّق النظر في هذه الآثار الجليلة التي تُرى في الصعيد لا يلبث ان يكتشف فيها على بقايا الدين المسيحيّ الذي غلب الوثنيَّة واستولى على معابدها فابقى للقرون المتوالية آثارًا تنبئ بانتصاره وتُشيد بظفرهِ على شرك الامم. وهذه البقايا عبارة عن صلبان محكمة النقش نُقِرت على ابواب الهياكل مع رموز دينيَّة وكتابات وتصاوير رسمها الزوَّار ومذابح وعمَد بل ترى كنائس كبرى مع ما يلحق بها من البنايات كالمناره ومنازل الكهنة وربَّما رأيت اديرة داخلة في حيّزها

وان طلبتَ لهذه الآثار تاريخًا يوقفك على زمانها خاب أملك لولا انَّ تاريخ احوال المملكة الرومانيَّة يرشدك الى المرام. فان ثاودوسيوس الكبير في اواخر القرن الرابع كان شرع الشرائع وامر باقفال هياكل الاوثان او تخصيصها بالمنافع العموميَّة فتملَّكها المؤمنون وجعلوها كنائس عبدوا فيها الاله الحقيقي الى ظهور الاسلام. ثمَّ اخنى عليها الزمان فصارت مأوًى للبومة والغربان

فهذه هي الابنية التي اسعدنا الحظ بزيارتها فوجدنا فيها الآثار المسيحيَّة التي سبق ذكرها وحاولنا وصفها في هذه اللمعة الموجزة

وان سألنا السائل ما بالنا خصّصنا بالذكر بلاد الصعيد واضربنا عن مصر السفلى. اجبنا انّ هياكل «الدلتا» لم يبقَ منها الّا النزر القليل لما اصابها من صروف الدهر فتضعضعت اركانها وانفرطت قلاندها وذلك لتتابع الحروب التي انتشبت نيرانها في هذا القسم من القطر المصري ولعيث كثيرين من السكان بهذه الآثار النفيسة فانّ مصر السفلى ليست بغنيّة بمقالع الحجارة بل لا ترى فيها اثرًا للصخور الكلسيّة. فلمّا رأى الاهلون انّ هياكل قدماء المصريين مهملة لا يتولى احد حراستها اخذوا ينقلون منها لابنيتهم الجديدة ما توصّلت اليه يدهم حتى لم يبقَ بعد حين من هياكل الاسكندريّة وتنيس وبوبسطة (تلّ بسطة) الّا ردمٌ من الحجارة التي لا تصلح للكلس وينفيها البُناة كبعض السواري وقطع من التماثيل المنحوتة من الحجر الصوّان. وما لنا نذكر الاعصار السالفة فانّنا رأينا رأي العيان في انحاء مصر السفلى والفيوم بل على مقربة من القاهرة قومًا من الفعلة يجدّون في تحطيم حجارة ابنية قديمة مزينة بالنقوش والكتابات الهيروغليفيّة لينقلوا قطع هذه الآثار الى اتون من النار فيتخذوا منها كلسًا لعمارتهم المستحدثة. وفي قولنا هذا ما يدحض شكايةً كثيرًا ما وجّهها بعض الكتبة الى نصارى مصر انهم ابادوا آثار الاقدمين وخربوا هياكلهم بغضًا بدين الاوثان. وغاية ما نعلمهُ من امرهم انهم هدموا فقط هيكل سيرابيس في الاسكندريّة لان عبدة الاصنام بعد ان أثاروا ثورة هائلة في المدينة واراقوا الدماء سيولًا تحصنوا في ذاك الهيكل فامر ثاودوسيوس بهدمه سنة ٣٨٩ ففعلوا. ولعلَّ النصارى اذ ذاك ارادوا الاشتفاء من الوثنيين بتقويض بعض معابدهم الّا ان فعلهم هذا كان عرضيًا وابقوا من معابد المصريين قسمًا كبيرًا. والدليل على ذلك ما اخبر به ثاوفيلكتوس عن هيكل السعد (Tycheum) الذي بقي في الاسكندريّة الى القرن السابع سالمًا مع ما كان يزينهُ من التماثيل والاصنام

ولنا ايضًا دليل آخر على انّ هذه المعابد لم يقوّضها كلها قدماء النصارى وهو انّ البعثة الفرنسويّة العلميّة التي قدمت مصر مع بونابرت قبل مئة سنة وصفت عدّة هياكل قديمة ورسمت صورها وهي اليوم اطلال خربة. فان صحَّ ذلك في زمن قريب من ايامنا فما قولك في ١٣ جيلًا متوالية توفرت فيها اسباب الدمار وقامت الحروب على ساق. بل ما قولك بالزلازل التي ابادت ما لم تقوَ على خرابهِ ايدي البشر وما ظنّك بالنيل الذي تعدّى مرارًا حواجزهُ الطبيعيّة فخرّبت مياههُ بطغيانها ما خرّبت من مباني القدماء.

ولا حاجة الى شاهد بعيد على صحّة قولنا فانّنا في الخريف الماضي زرنا هيكل عمّون في الكرنك ورأينا ردهتهُ الجليلة ذات السواري التي قال عنها بعض الكتبة انها احق من غيرها بان تُعدّ بين سبع عجائب المعمور فوجدنا ١٣ عمودًا منها كانت قد سقطت ومئين من الفعلة يسعون في ترميم ما خُرب منها. فسألت المهندس عن سبب سقوطها فأجاب: «انّنا عاينّا قبل سنتين انّ البحيرة المقدسة التي تبعد عن هذه الردهة نحو ١٥٠ قدمًا قد اخذ ماؤها في النضوب حتى هبط سطحها في يوم واحد نحو ٦٠ سنتيمترًا دون ان يعلم احد سبب ذلك. وفي اليوم التالي هبطت هذه العواميد مع ما يستند اليها من الحجارة المنقوشة والافاريز البهيَّة وكادت تقوّض الباب الكبير. وبعد الفحص الدقيق وجدوا ان حجارة الاساس الرمليَّة كان اصابها النطرون وأثرت فيها الرطوبة فتفتَّت دقائقها»

٢

ولكن دعنا نعود الى ذكر هياكل الصعيد مع وصف الآثار المسيحيَّة التي عاينّاها في جملة تلك البقايا الماثلة حتى يومنا

لا غرو ان النصارى الذين اهتدوا في مصر الى الدين المستقيم بعد ضلال الشرك كانوا ينظرون الى هياكل الاصنام بعين البغض والمقت لاسيَّما انهم كانوا يرون انَّ الابالسة خزاهم الله استغووا العقول بمحاسنها الباهرة وهندستها البديعة. ولعلَّ بعضهم فكَّروا في هدمها لئلا تكون عثرة لمواطنيهم ألّا ان البصيرة وحكمة العقل ادَّيا بهم الى ما هو اصلح لشؤونهم واجدر بالمعارف التاريخيَّة فطهَّروا هذه الهياكل وخصَّصوها بخدمته تعالى. فانهم وجدوا في عظمتها وجمالها ما يسمو بهم الى معرفة الاله الحقّ ويثير في قلوبهم عواطف الحب لعزّته تعالى

ثمَّ اعاد النصارى النظر في الكتابات التي كانت تزيّن الهياكل فوجدوها مع ما فيها من اضاليل الشرك تتضمَّن عددًا وافرًا من الحقائق التي اوحى بها الله الى البشر الاوَّلين وتشهد بذلك عن صحَّة الدين النصراني. فمن ذلك الاقرار بالاله الخالق والاشارة الى الثالوث الاقدس وذكر الدينونة. ولكل هذه الحقائق تصاوير تبرزها للعيان فترى مثلًا في الدينونة الاله جالسًا للحساب وبيده ميزان في احدى كفَّتيه قلبُ الميت وفي الاخرى ريشة نظام تمثّل العدل (١. ويقرب الميزان اله آخر يدوّن نتيجة الوزن

١) اعلم انّ للريشة وللعدل في لغة قدماء المصريين لفظةً واحدة. ولعلَّ ذلك هو السبب

ثمَّ يقود الميت الى الديان العظيم اوزيريس وهو جالس على عرشهِ فيحكم الحكم الفصل في جزاء النفس او عقابها الابدي . امَّا النفس فهي ممثَّلة بصورة طائر ذي يدين يبسطهما للصلاة او طائر ذي رأس بشري

ثمَّ انَّ النصارى وجدوا في اكرام اجدادهم لاجساد الموتى ما يثبت ايمانهم بالقيامة . فان قدماء المصريين كانوا لا يدَّخرون وسعاً في تطهير الجسم وتحنيطهِ ودفنهِ وصيانتهِ من كلّ يد اثيمة كأنَّهم يؤمِّلون انَّ النفس تعود قريباً الى بيتها السابق فتحييهِ . وربَّما صوَّروا نفساً على شبه طائر يرفرف حول الميت طالباً ان يعود اليهِ فيجتمع بهِ (١

وكان النصارى يرون في جملة هذه التصاوير ما يذكّرهم بالارواح المجرَّدة والملائكة العلويين فانَّ الاله « كا » هو حارس الانسان في الحياة والمدافع عنهُ بعد الموت وكانوا يصوّرونهُ على مثال ذراعين ممدودين الى السماء . ومن هذه الارواح من يقوم بحراسة المدن والممالك كما يعتقد النصارى

وممَّا كان من شأنهِ ان يزيد نصارى القبط حرصاً على حفظ آثار اجدادهم رؤية شكل الصليب في التصاوير المصريَّة . فانك تجد هذه العلامة منقوشة في الهياكل المصريَّة على هيئاتٍ شتّى منها الصليب المزدان بالعروة في رأسهِ (croix ansée) كان النصارى يجدون في شكلهِ ذكر صليب فاديهم بينما كان الوثنيون يعتبرونهُ كآية الحياة . ولبعض هذه الصلبان المصريَّة ذراعان يحملان صولجان الملك والسلطة . وغيرها يمسك بها احد الالهة او الكهنة فيقرّبها الى شفاه الميت ليقبّلها قبل وفاتهِ . ومن هذه الصلبان ما يدخل في الكتابة المصريَّة فيدلّ على لهجات ومقاطيع لفظيَّة . ومنها ما هو مرسوم في وسط دائرة دلالة على انَّ الكلمة التابعة اسم علم لمدينة

فالنصارى لدى مشاهدتهم آلة الخلاص منقوشة في كل الكتابات المصريَّة أَبوا ان يطمسوا هذه الآثار مع ما فيها من صور آلهة مصر السمجة (٢

١) ترى مثل هذه الصورة في هيكل اوزيريس الصغير وهيكل اوبت الملاصق لهيكل خُنسو في الكرنك لتمثيلهم البدل بصورة الريشة

٢) والدليل على ان النصارى استخدموا صور الصليب التي رسمها قدماء المصريين انك ترى في مدافن «واش المرجا» عدداً وافراً من هذه الصلبان يزينها على جوانبها الحرفان اليونانيَّان ΑΩ الدالَّان على المسيح ولاهوتهِ اضافها النصارى الى صلبان قدماء المصريين لمَّا التجأوا الى هذا الواش في ايَّام الاضطهاد

٣

ثمَّ انَّ من يسرِّح طائر البصيرة في هياكل قدماء المصريين يرَ انَّ النصارى احسنوا بحفظها وتخصيصها لدين الاله الحقّ لانَّ تركيب هذه الهياكل يوافق حقَّ الموافقة شواعر العبادة المسيحيَّة . وذلك ان الهيكل المصري هو مبني عادةً على صورة مربَّع مستطيل الشكل ذي ثلاثة اقسام: الدار والرواق والمقدس . وعلى جانبي مدخل الهيكل برجان عظيمان او هرمان مسطَّحان يقومان على ركنَيْن مربَّعين فالزائر لا يبلغ هذا المدخل حتى يغوص نظرهُ في الدار والرواق وينتهي الى المقدس

والدار مكشوفة للسماء يحدق بها بعض الاحيان في باطنها سقيفة ممتدَّة الاروقة . امَّا الرواق الذي امام باب المقدس فهو عبارة عن قاعة فسيحة لها سقف منقوش يستند الى سوار عديدة . والرواق المذكور منفصل عن المقدس بجدار ضخم. وفي وسط الجدار باب يُدخل منهُ اليه . وهذا المقدس يتركَّب من بناية صغيرة مكعبة تحيط بها على شكل دائرة غُرَف لسدَنة الهيكل مع لوازم خِدَمهم يفصلها عن المقدس معبرٌ مستدير الشكل ضيّق المجاز

وكان لهذا المقدس بابٌ واحد يجعلونهُ فيه على سواء البناء ومحوره . وكان الفرعون نفسهُ لا يَلِجهُ الَّا في ايام معلومة يرتأي بدخوله في وسطهِ انه يحتلّ منزل اللاهوت . امَّا دار الهيكل فكانت تمثّل لهم العالم كما انهم يعتبرون الرواق الذي يفصل الدار عن المقدس كمكان متوسّط بين اللاهوت والدنيا . وكان القدماء من المصريين يزعمون انَّ مركز الحياة في المقدس يُنشئها آلهتهم فيه ثمَّ يوزعونها للعالمين في رواق الهيكل حتى اذا بلغت الدار تنتشر فيها وتنمو بين البشر . وعلى ذلك تدلُّ الكتابات المخطوطة في جدران هياكل الصعيد . وكان الوثنيون يكثرون النقوش والتصاوير في مقادس هياكلهم ويزينونها بالسواري ويسقفونها بصفائح الحجارة يصوّرون عليها البروج الفلكيَّة وكواكب السماء

ولمَّا صارت هذه الهياكل في ايدي النصارى جعلوا كنائسهم في اروقتها وتركوا المقادس للكهنة ليسكنوها ويقيموا فيها بعض الاسرار التي لم يحبوا كشفها للجمهور . امَّا الدار فأبقوها للمجتمعات الكبرى والمواكب الدينيَّة والطوافات العيديَّة الحافلة

ولم يبيدوا النقوش والكتابات التي وجدوها في تلك الهياكل المادّيَّة بل اكتفوا بان حجبوها لوقتٍ عن ابصار المؤمنين ونعمَ ما فعلوا فانهم بحفظهم ايَّاها لم يحرمونا عدداً وافراً من الشواهد التاريخيَّة التي تمكَّن علماء عصرنا من قراءتها فجاءت مؤيدة لمدَّة

اخبار انكر صحتها الكفرة قبل عهدنا ونسبوها الى الروايات الخرافية مع ورودها في الاسفار المقدسة . امّا طريقة النصارى في اخفاء هذه الكتابات دون اتلافها فبأن عمدوا الى طليها بالكلس الذي لا تزال آثارهُ بادية في تجاويف الخطوط المنقورة في الحجارة. وربّما طلوها باللاط ونقشوا فوقها النقوش الحسنة كما ترى هيكل القصور الكبير بالكرنك في ممشى تحوتمس الثالث. وخلاصة القول ان النصارى لم يطسوا شيئاً من الكتابات المصرية التي وجدوها بعد ان صارت في حوزتهم اللهمّ الّا في هيكل دندرة الذي حوّل المسيحيّون ردهتهُ الكبرى الى بيعة فانّهم سحوا بعض كتاباتهِ في الجدار المقابل للمذبح وفي الستة العواميد المجاورة للجدار

هذا فعلهم في المقدس امّا الاروقة التي كان يجتمع فيها المؤمنون فانّ النصارى لم يفسدوا منها الّا التصاوير السمجة التي وجدوها فيها وكان كثير من هذه النقوش تمثل اشخاصاً في هيئات مغايرة للآداب فأزال النصارى منها ما رأوهُ منافياً الحشمة دون ان يمسّوا باقيها . ولعلهم بذلك ارادوا ايضاً ان ينجزوا أوامرهُ تعالى في كتاب الخروج حيث قال: لا تصنع لك منحوتاً ولا صورةً ممّا في السماء من فوق ولا ممّا في الارض

امّا الدمى والانصاب والتماثيل المجسّمة التي كان قدماء المصريين اقاموها في تلك الهياكل لاصنامهم فانّ النصارى لم يروا وجهاً لحفظها بل اتلفوا تلك الارجاس وحطّموا منها ما استطاعوا . ولا تثريب في ذلك عليهم لانّ اكثر آلهة المصريين كانت على اشكال غريبة ورؤوسها رؤوس حيوانات مستقبحة فكسّر النصارى تلك التماثيل او شوّهوها بقطع هاماتها كما فعلوا في « مدينة ابو » التي اتخذوا دار هيكلها كنيسةً لهم. وكذلك في هيكل رعمسيس بالكرنك فانّ المسيحيين حزّوا رأس اوزيريس كبير آلهة المصريين في كل تماثيلهِ كما انهم القوا تمثال رعمسيس الثاني ونضوهُ بجذاقة عجيبة بحيث لم يبقوا اثراً للمقراض. وهذا التمثال آية في الكبر والضخامة كان طولهُ ١٧ متراً ونصف متر وثقلهُ نحو الف الف كيلوغرام ودائرة شلوهِ نحو ١٢ متراً

٤

بعد هذه اللمحة العمومية هلمّ بنا نستقري كنائس الصعيد التي وجدنا آثارها في هياكل قدماء المصريين

(كنيسة دندرة) كان موقعها في رواق الهيكل القديم وهذا الرواق ردهة واسعة

علوّها ١٥ مترًا يزينها ٢٤ عمودًا وعلى العواميد اكِلّةٌ تمثّل الاله هاتور مع رأسِ البقري. اما المذبح فكان مركزهُ على شمال الداخل موجَّهًا الى الشرق . وتحت هذه الردهة سربٌ مظلم متسع الجوانب كثير النقوش جميلها فلم يمكنّا الوقوف على غاية المصريين من ابتنائهِ واتقان زينتهِ . وليس في هذا السرب ما يدلّ على انَّ القدماء كانوا يقيمون فيهِ الفرائض الدينيّة لاننا لم نجد فيهِ اثرًا للمشاعل

وكان هيكل دندرة في وسط مدينة كبرى يدعوها اليونان تَنتيريس لم يبقَ منها اليوم سوى اطلالها وردومها . ثمَّ اهتدى اهلها ودانوا بالنصرانيّة فصارت مقامًا لاحد الاساقفة . ومنذ اربع سنوات اذ كان الفلاحون يحفرون بين هيكل دندرة الصغير المعروف بالميلاد ومَخرفة هيكل هاتور اكتشفوا تحت ركام النطرون بقايا كنيسة بديعة الشكل مدخلها بجوار هيكل الميلاد اما حنيّتها فتواجهُ المشرق وهي ملاصقة لمخرفة الهيكل . وكانت هذه الكنيسة المتينة البناء حسنة الموادّ من الطرز اليوناني او البوزنطي ترى في بابها الكبير نقوشًا مُحكمة الصنع وكان لها على جوانبها معابد تكتنفها وفي جدرانها كوًى جميلة وحتى اليوم لم تُنتزع عنها الانقاض المحيطة بها

(كنيسة القصور) اتخذ النصارى لهم في القصور كنيستين بنوا الواحدة منهما بناء تامًّا وجعلوها بين ساحة رعمسيس الثاني وصفّ عواميد امينوفيس الثالث من جهة النيل . اما الكنيسة الثانية فجعلوها في الرواق ذي العواميد الثانية الواقع بين الرواق الكبير والمقدس . واقاموا بازاء باب المقدس القديم حنيّة على شكل نصف دائرة وأمام الحنيّة عامودين عظيمين من الطرز القورنثي . وكل ذلك باقٍ حتى الآن الّا انَّ المذبح قد هُدم . ولا ريب في انّهُ كان منصوبًا في الحنيّة الصغرى ليكون مواجهًا للمؤمنين وهم وقوف تحت القنطرة الوسطى من الرواق الكبير او في وسط الدار . وعليهِ فانَّ المذبح كان في جهة الجنوب الغربي وذلك بخلاف القاعدة الشائعة في اوائل الكنيسة بان يُنصب المذبح من جهة الشرق . ولعلَّ المصريين لم يعتبروا هذه السُنّة كامر لازب في عهد ثاودوسيوس . ولنا على ذلك شاهد آخر في كنيستي فية التي ابتناها النصارى وجعلوا مذبحيهما من جهة الشمال

وجدران هذه الكنيسة في القصور مطليّة بالملاط ومزيّنة بنقوش وصور بعض القديسين وغير ذلك من الرموز المسيحيّة وهي متقنة التصوير ليس كما زعم دليل بديكر

(Baedeker) الذي وصفها بتصاوير خشنة . وبينها صورة رأس غاية في الجمال استحسنهُ احد اساتذة المانية حتى انهُ عوَّل على الرجوع الى القصور لفحص دقائقهِ قبل ان يمحى اثرهُ . والحق يقال انَّ هذه التصاوير معرَّضة للتلف رأيناها في هذه السنة فوجدناها قد تشوَّه حسنها عمَّا كانت منذ اربع سنوات

والفضل في اكتشاف هذه كنيسة القصور القديمة مع تصاويرها العجيبة عائد للمسيو مسبرو الذي ازال عنها ما كان يطمرها من الردم والخرابات سنة ١٨٨٦ ونقض دير حضرات الآباء الفرنسيسين المبني فوق هذه العاديَات واعاضهم منهُ بملك آخر اوسع واحسن موقعًا ابتنوا فيه ديرًا جديدًا مع مقام الراهبات ومدارس للاحداث . ثمَّ واصل المسيو مسبرو الحفر فوجد ما عدا الكنيسة حجرتين كبيرتين وغير ذلك من الابنية التي كانت لاحقة بالكنيسة . على انَّ قسمًا من هذه العاديَات لا يزال مطمورًا تحت جامع قائم هناك عند زاوية ساحة رعمسيس الكبرى من جهة الشمال الشرقي

وفي جوار الكنيسة عند الرواق الكبير ترى ركنًا عظيمًا نُقشت عليهِ كتابة لاتينيَّة هذه صورتها :

Fortissimo Ac Piissimo || Imperatori Domino Nostro Flavio Valerio Constantino || Pio Felici Invicto Augusto || Valerius Romanus Et Alcaupius Dux || Legionis Et Thebarum Utrarumque || Libenti Animo Ejus Semper || Dicatissimus

فيستفاد من هذه الكتابة (ومثلها في اللاتينيَّة نادر في مصر) انَّ الركن كان منصوبًا عليهِ تمثال قسطنطين الكبير اقامهُ اكرامًا لهذا الملك الظافر الجليل ڤاليريوس رومانوس ألكوبيوس والي الصعيدَين ومقدَّم الفرقة الجنديَّة

(كنائس الكرنك) اذا اجتزنا من القصور الى الكرنك وجدنا ثمَّت ايضًا كنيستين تشيَّدت احداهما في هيكل خنسو وهو اول هيكل يصادفهُ السائر اذا خرج من القصور . وكان موقعها في رواق الهيكل وهناك صليبان جميلان نُقرا في الصخر يشيران كما نظن الى مقام المذبح اعني على شمال المدخل

وبإزاء الرواق درجٌ صاعدٌ رسم بقربهِ حجَّاج النصارى تصاوير شبيهة بتصاوير وادي المقطَّب على طريق جبل سينا وهي تمثل جمالًا على ظهرها هوادج وفوق الهوادج صلبان ومع هذه الصور اسماء اعلام بالقبطيَّة او اليونانيَّة كبطرس وبولس وغيرهما . ومما

ارشدنا اليهِ هناك متولي امر العاديَّات من آثار الوثنيَّة مخابئ في الصخر كان يدخلها سرًّا كهنة الاصنام ليتكلَّموا فيها و يوهموا الزوَّار انَّ آلهتهم هي الناطقة

وكان مقام الكنيسة الاخرى في بلاط تحوتمس الثالث الذي يجاور هيكل عمون الكبير وكان موقعها ايضًا في ردهة العواميد المستطيلة التي تُعرف بمشى تحوتمس. وقد صوَّر النصارى على العواميد تصاوير عظيمة تمثّل القديسين. منها صورة « أبا شنودي » احد مشاهير السيَّاح سكن في الدير الابيض بقرب سوهاج. امَّا بقيَّة الاسماء فاكثرها قد بادت آثارها لم نتثبَّتها

ومن الآثار ايضًا كوًى عاينَّاها في العواميد تُجعل فيها القناديل وكذلك رأينا في الجدران حزَّاتٍ كانوا يُثبتون في خلالها الخواجز (الشعريَّات). امَّا المذبح فاسندوهُ الى الحائط الشمالي. وللعواميد رؤُوس اكلَّة مخروطة الشكل غريبة النظر. ومع ذلك يحسن بنا القول انَّ هذا المبدكان من ابهى الكنائس التي امكن النصارى في مصر ان يخصّصوها للاله الحق

واذا عبرنا النيل الى مدافن ثيبة وجدنا ايضًا على ضفّتهِ الاخرى كنائس واديرة اتخذها النصارى الاقدمون لديهم في هياكل المصريين. منها الهيكل القائم كمدفن للملكة هَتاسو وهو يعرف بدير البحري واسم الدير يشير بلا مراء الى ما كان عليهِ في ايام المسيحيين. لكن العلماء الذين تولَّوا في عهدنا ترميم هذا الهيكل القديم لم يدعوا فيهِ من آثار الدير شيئًا ولا جرم انهُ كان محاطًا بسورٍ عالٍ على مثال اديرة القرون السالفة. وقد بقي من هذا السور بقايا تدلُّ عليهِ

وترى ليس بعيدًا من هذا السور عند زاوية الهيكل الشماليَّة صلبانًا نُقشت على جدرانهِ القديمة وعلى رؤُوس اكلَّة يونانيَّة هناك فاستدللنا بذلك على انَّ النصارى اتخذوا لكنيستهم الردهة الكبرى المعروفة بردهة عمون وهي في دهليز قريب من الهيكل. وفي جوار هذا الدهليز معبد امامهُ دارٌ وفي وسطهِ مذبحٌ. وليس بين كلّ الآثار المصرية القديمة مذبح سواهُ. وهذا المذبح على شكل صفَّة من الحجارة مربَّعة لا زينة لها غير اطناف ناتئة حولها وكان يُصعد الى هذا المذبح بدرج وعرض المذبح المذكور نحو ثلاثة امتار في علوّ متر ونصف

(كنيسة دير المدينة) واذا سرتَ من دير البحري ثلاثة ارباع الساعة جنوبًا بلغتَ «دير المدينة» وهذا الدير يلاصق الجبل كدير البحري وكان قديمًا هيكل للاصنام جميل البناء. فجعلهُ الرهبان ديرًا كما يشير الى ذلك اسمهُ. الَّا انهُ لم يبقَ منهُ غير دائرة سوره. وعلى وجه الهيكل كتابات نصرانيَّة عديدة توقفنا على اسماء كثير من رهبان الدير كُتبتْ في عهدهم او بعد وفاتهم هذا مثال بعضها:

«انا بطرس الكاهن ابن ابا بولس الكاهن ابن القديس ابا بينيروس الشهيد» = «انا بولس المتوفّى في ٤ برمهات» = «انا متى الراهب» = «مرقس الامين»...

الى غير ذلك من الاسماء. مع تاريخ يوم الوفاة. وبازاء هذه الاعلام صفيحة عليها كتابة تفيدنا انَّ عدد المقبورين في ذاك المدفن ٢١ ميتًا. وبذيل الكتابة تاريخ سنة ٢٣٠ و٢٥٠ للشهداء. وهي توافق سنة ٥١٣ و٥٣٣ للمسيح

وفي داخل الهيكل كتابات وتصاوير لقدماء المصريين لم يمسَّها الرهبان باذًى مع ما يتخلَّلها من المناظر المستقبحة والصور التي يستنكف الزائر من القاء النظر اليها

وهناك ايضًا هيكل رعمسيس الشهير (Ramesseum). ومع ما استولى عليهِ من الخراب يمكن الوقوف على آثار كنيسة كان قدماء النصارى اقاموها في رواقهِ ذي العواميد الفخمة

(كنيسة مدينة ابو) ولكن لنا في «مدينة ابو» من الآثار المسيحيَّة ما يستوقف الابصار اكثر من الهيكل السابق. فانَّ الانقاض المحدقة بها تدلُّ على مدينة عامرة كان يسكنها النصارى في القرن الخامس. ولمَّا لم يجد هؤلاء المؤمنون في بَهو الهيكل القديم مقامًا كافيًا لعددهم الغفير اختاروا لكنيستهم الدار التي امام ذلك البهو. وهذه الدار الرحبة تبلغ مساحتها ١٦٠٠ متر تكتنفها اروقة فسيحة. وهي تدعى اليوم منتدى الاعياد لان جدرانها تمثّل اعياد رعمسيس الثالث وحفلاته

والنصارى نقضوا الركن المركزي لينصبوا مكانهُ المذبح ثمَّ احاطوه في وسط الدار بصفوف من ابهى عمد الرخام وجعلوا فوقها غماء فصارت من ابهى الكنائس. على انَّ اكثر هذه الاعمدة قد بادت لم نجد منها الَّا ١٥ عمودًا من الطراز اليوناني او البوزنطي مع الاكلَّة التي تزين رؤوسها وهي مدحورة عند حائط الهيكل الجنوبي. وكان عددها الباقي منها نحو الثلاثين الَّا انَّ المهندسين الذين عُهد اليهم ترميم الهيكل

القديم ازالوها دون ان يأخذوا رسم الكنيسة . وقد وجدنا في ما بقي منها آثار نقوش جميلة . بل كان احد هذه العواميد ملونًا بالوان مختلفة وهو الآن مصونٌ في احدى القاعات المجاورة

والخارج من هذه الكنيسة يدخل في رواق مزدان بالسواري يجد فيه جزءًا من الصوان نرجح كون النصارى اتخذوه للعماد . وهذا الرواق مع الردهة التي تليه والمقدس اللاحق بهما يحدّها شمالًا عدّة حُجَر تستند الى السور الخارجي كان يسكنها خدمة الكنيسة ولكل حجرة بابٌ ينفذ في السور . وهذه الابواب اليوم مسدودة ترى آثارها من الخارج وعتباتها العليا تزينها الصلبان المنقوشة فوقها . ولمّا أَتخذ النصارى هذه الابواب كانت تربة السور اعلى من بلاط الهيكل كما يظهر ذلك بالمقابلة . واليوم قد زاد ارتفاعها

(كنيسة ادفو) لم يوجد بين الهياكل المصريّة معبد صبر على آفات الزمان كهيكل ادفو الشهير . ولعلّهُ احسن اثر بقي من عهدهِ . والنصارى الاقدمون جعلوا كنيستهم في رواقهِ الكبير الذي تنبسط الدار امامهُ . ولا شكَّ انَّ تلك البيعة كانت من افخم الابنية واجملها . امّا مذبحها فكانت وجهتهُ الى الشرق . ومن الآثار الباقية هناك معبدان كان الوثنيون شيّدوهما لآلهتهم واسندوهما الى حائط الدار فلم ينقضهما النصارى

(كنائس فيلة) لا بُدَّ من الاسراع الى زيارة كنائس هذه الجزيرة قبل ان تتمّ ترعة النيل التي تُقام اليوم في وسط الشلالة الاولى فاذا نجز هذا العمل يرتفع سطح مياه النهر على سواء الجزيرة وتبيد آثارها الشهيرة اللهمّ الّا هيكلها الكبير الذي يسعى المهندسون في وقايته من طغيان المياه . وقد آثرت الحكومةُ ابتناء الترعة في هذا المكان حذرًا من التكاليف الباهظة التي يوجبها هذا العمل لو بُوشر بعيدًا عن مقاطع الصوّان في اعالي الجزيرة

وفيلة المذكورة (Philæ) جزيرة صغرى لا تُربي دائرتها على الف متر وكان لها مع صغرها خمس كنائس اثنتان في باطن الهيكل وثلاث في خارجهِ . والسبب في ذلك كثرة النصارى الذين كانوا يتقاطرون الى فيلة فضلًا عن انّ المؤمنين قديمًا لم ينصبوا في كل كنيسة الّا مذبحًا واحدًا ولم يقيموا على كل مذبح الّا قداسًا واحدًا كما هو شائع اليوم في الكنائس اليونانيّة

وكانت فيلة قبل عهد الميلاد مزارًا يتقاطر اليهِ الوثنيّون من كل انحاء الصعيد والنوبة ليعبدوا فيهِ إلهتهم ايزيس. ولمَّا انبعثت انوار الدين المسيحي في مصر اعتصب عبدة الاوثان في هذه الجزيرة وقاوموا مدةً دعاة الدين النصراني ولم يذعنوا لاوامر ثاودوسيوس لوقوع مدينتهم في اقاصي الصعيد ولتغاضي الولاة عنهم. ودامت الحال الى عهد يستنيان فانَّ هذا الملك استأصل بقايا الشرك في سنة ٥٥٢. واقام لفيلة اسقفًا ودشَّن هيكلها فخصَّصهُ برأس الشهداء القديس اسطفانوس. وثبت فيها الدين المسيحي مدَّة قرون طويلة بعد الفتح الاسلامي

وآثار النصرانيَّة في هيكل جزيرة فيلة وافرة. فاذا اجتزتَ مدخلها الاثير على شمال صفّ اعمدتها بلغتَ ساحةً عظمى فواجهتَ منها المدخل الثاني الذي يؤدي بك الى هيكل الالهة ايزيس وفي شمالك هيكل «الميلاد» الصغير. فجعل النصارى الهيكلَ الكبير كنيسة والهيكل الصغير معبدًا

والمعبد يُستدلُّ عليه بعدَّة صلبان تراها في جدران الحُجَر الثلاث التي يتركَّب منها المعبد المذكور. والكتابات الهيروغليفيَّة قد مُحقت من الحجرة الوسطى او طُليت بالملاط ولعلَّ النصارى فعلوا ذلك لوقوع المذبح فيها. وهذه الحجرة لا يزيد طولها على ٤ امتار في عرض ٣ منها

امَّا الكنيسة الكبرى فترى على جانبي بابها الواقع تحت المدخل الثاني صليبين ينبئان بقداسة المكان. فكان موقع الكنيسة المومأ اليها في دار الهيكل وفي ردهته ذات العواميد وترى اليوم في اطناف السواري التي في الدار ثقوبًا كانت تُناط بها حبال يمدّون عليها استارًا تحجب عن المؤمنين اشعة الشمس. وترى ايضًا في المعبر عند مدخل الردهة العامودية بعض صور مسيحيَّة اتلفها الزمان وهذه الصور تمثّل يمينًا في الجهة العليا مدينة اورشليم وتحتها السيد المسيح بين ملاكين احدهما على يمينهِ مستلًّا سيفهُ والآخر على شمالهِ حاملًا شبه صليب. ولعلَّهما الملاكان ميخائيل وجبرائيل اللذان تمثّرهما الكنيسة الشرقيَّة كحارسي جسد المسيح

وفي الردهة المذكورة المذبح وبيت القربان فالمذبح عبارة عن مكعَّب من الصوَّان في مقدَّمهِ صليبٌ منقوش تحيط بهِ دائرة. امَّا بيت القربان فهو منقور في الجدار الشرقي يزينهُ عمودان صغيران على جانبيهِ ولهُ واجهة مستديرة في وسطها صليب ونقوش

وفي وجهي الباب الذي يفصل الرواق عن المقدس كتابتان يونانيّتان يُستفاد منهما ان الذي قام بهذا المشروع الصالح وتشييد الكنيسة في هذا المكان انّما هو « الاب الكلّي الطهر والمحبوب من الله ابا ثاودوروس ادامهُ الله على حراستها (١ »

والمظنون ان ثاودوروس المذكور هو اسقف فيلة الذي تولى رعاية المؤمنين فيها سنة ٥٧٧

وهناك ايضاً على جانب الباب ترى امرأة ماسكة بيدها صليباً كانها تعرضهُ للسجود. وصورة المرأة كانت داخلة في جملة نقش قديم فجعل النصارى في يدها هذا الصليب تبرُّكاً

وبينا كنّا نفحص هذه النقوش اذ رفعنا الرأس الى ما فوق الباب فرأينا عند عتبته العليا اسم البابا غريغوريوس السادس عشر (٢ فاستبشرنا برؤية ذكر امام الاحبار ونائب المسيح على الارض كأنَّ هذا الاسم الميمون شمل برئاسته السامية العالم القديم والعالم الجديد اذ دُوِّن في هيكل قديم حوَّلهُ النصارى الى كنيسة خلّد الله رئاسة الاحبار الرومانيين الى منتهى الادهار

امَّا الكنائس الثلاث التي بُنيت في فيلة خارج الهيكل فكلّها في شمالي الجزيرة. وكانت احداها تابعةً لدير موقعهُ في رأس الجزيرة الشمالي قد طُمست اليوم آثارها. وكانت الثانية وراء حنيَّة الهيكل الكبير تبعد عنهُ نحو ٣٠ متراً ولها آثار باقية وهي حسنة البنيان متوسّطة الكبر ذات ثلاثة اسواق وحنيَّتها متجهة الى الشمال بميلة الى الشمال الشرقي. وترى لها كتابة يونانيَّة خُطَّت في حائطها المواجه للمذبح

وكانت لفيلة كنيسة ثالثة اوسع من الاولين تُرى بقاياها شرقاً على بعد بعض

---

١) هذا نص الكتابة الاولى - Και τουτο το αγατον εργον εγενετο επι τον οσιωτατον πατρον ημων επι Απα Θεοδωρον. υπο εαυτου διαφυλαξ η επι μηκιστον χρονον

وهذا نصّ الكتابة الثانية Ευ τουτο εργον εγενετο επι του θεοφιλεστατου πατρος ημων Απα Θεοδωρου του επισκοπου

٢) وقد ورد اسم البابا في صدر كتابة ايطالية حفرها الوفد الروماني سنة ١٨٤١ . وهذا الوفد كان يتقدمهُ السيدان كَمبريني ونُستي ارسلها الاب الاقدس لينقلا من مصر الى رومة ما تكرَّم بهِ محمد علي باشا خديوي مصر من الرخام لبناء الاعمدة التي أُقيمت بمدنذٍ في كنيسة مار بولس الملكيَّة خارج السور. والرخام نقلهُ الربان انطونيو كلّي في سفينة تُدعى فدلتا (La Fedelta) اتى بها من نهر التيبر الى اول شلّالات النيل

خطوات . وهذه الكنيسة كانت ايضاً مثلثة الاسواق متجهة الى الشرق

واعمدة هذه الكنائس الثلاث التي وجدها المهندسون في اخربتها قد نُقلت الى الساحة المتدة امام دار الهيكل الكبير وراء صفوف اعمدته الشرقية . فلماً فحصناها وجدنا بينها نقوشاً جميلة من طرز البناء اليوناني او البوزنطي . وأثار فينا نظرُها الاسف على خراب الكنائس التي أُقيمت فيها هذه الاعمدة وهي كانت تنبئ بمعارف قدماء النصارى في الهندسة فضلاً عن انها تنطق عن تقاهم وعبادتهم . اماً عهد هذه النقوش فخيل لنا انها معاصرة لنقوش كنيسة دندرة

ومما اطلعنا عليه هناك تمثال طولهُ نحو القامة وهو يمثّل شخصاً يضم فوق صدرهِ سعفاً من النخل وبيده الأخرى يمسك قطعة من دولاب محدَّد . فتبادر الى ذهننا ان هذا تمثال القديسة كاترينا الاسكندريَّة الشهيدة . نفعنا الله بصلواتها وقوَّى المصريين بايمانها (تمّت)

بحيرة لوط والمدن الخمس

لحضرة الاخ يوسف كليس احد معلمي مدرسة الايتام في بيت لحم

لمَّا كانت هذه البحيرة اكبر بحيرات فلسطين وسوريَّة يؤمها السيَّاح والزوار لخطورة شأنها في التاريخ القديم شاقني الاطلاع على احوالها فزرتها في هذه الاثناء مع فريق من اهل الادب لاستكشاف ما هنالك فاحببتُ ان اضمّن رحلتي اليها موجز تاريخها ووصفها في هذه المقالة التي ازفها الى قراء مشرقكم الأنور فاقول:

أن موقع هذه البحيرة في الجنوب الشرقيّ من القدس الشريف في مسيرة ١٨ ميلاً في وطاءٍ من الارض يسميه الكتاب غور السديم . ويرجح الآن انها تغطي جانباً عظيماً من المدن الخمس التي امطرها الله ناراً وكبريتاً (ص١٩ من سفر التكوين) . وطولها من الشمال الى الجنوب يقارب ٥٠ ميلاً وعرضها نيف و ١٠ اميال وهي منخفضة عن سطح البحر المتوسط ١٣١٦ قدماً ولمَّا كانت هذه البحيرة مَفرغة لمياه غزيرة لانخفاض مكانها كما قدمنا وكان لا منفذ لها ظاهر ولا يبدو فيها أثرٌ من زيادة مائها او نقصانهِ تضاربت في امرها آراء العلماء . ونحن ذاكرون لهم رأيين مرجحين الثاني منهما على الاول

قال الفريق الاول ما خلاصتهُ : ان غؤور ارض هذه البحيرة وانخفاضهـا الزائد جداً

واكتناف الجبال التي تشدّ على مُخنّقها لهو مجلبة للوديقة التي تُبخّر من مائها يوميًا كميّة تعادل الكميّة التي تجري اليها

قلنا ان ما ينشأ عن هذه البحيرة بسبب شدة الحرّ من بخار وافر وضباب متكاثف متكاثر لا ننكره. كيف لا وانّ بخارها كثيرًا ما ينشأ عنهُ مطر يروّي أرض فلسطين. فيَنْشص ضبابها منتشرًا ويغطّي سطحها وارباضها على مسيرة اميال ? بيد انهُ يستحيل تحويل كل الماء الذي يصير اليها بخارًا او ضبابًا على ما افاده وعلّله ذوو التحقيق من علماء هذا الفن. ولا يخفى انهم قد عدّلوا كميّة الماء الذي يأتيها يوميًّا من الاردن وحدهُ بما يربي على ٦ ملايين طونيلاتو (tonellata) (١ فكم كان يبلغ قدرهُ لو اضفنا الى هذه الكميّة مياه الغدران والجداول ومجاري الاودية التي تجري اليها أيام الشتاء من اكثر جهاتها لاسيما نهر الموجب الذي يأتيها من منحدرات الجبال التي تلي شرقيها فانها لعمري كميّة لا سبيل الى تحويلها بخارًا مها تعاظمت هنالك شدّة الحرّ

وقال الفريق الثاني وهو الراجح على ما نظنّ انهُ لا بدّ لها من سَرَب سُفلي تصب منهُ في عمق احد البحور التي لم يُعلم الى الآن غور لججها تامًا. ورقبوا الماء الذي تخسرهُ سنويًا بالتبخير وبذهابه في السرب المفترض فاذا هو يزيد على القدر الذي يأتيه . وقد رصدها في الشتاء الماضي بعض المدقّقين فأيّد هذا الرأي اذ ظهر لهُ فيها نقص بيّن استدلّ عليه من انحسار مائها وتقهقره عن سواحلها وشُطآنها عن ذي قبل

وامّا خواصّ مائها فليس لهُ ثقل واحد معلوم لأنهُ يختلف في الكثافة والمرارة باختلاف مواضعه منها. فحيث يدخلها ماء الانهار والسواقي فاقلّ ثقلًا ومرارةً من غيره. وعلى وجه العموم يُعدَّل ان في كلّ مئة جزءٍ من مائها او في كل مئة رطل منهُ خمسًا وعشرين جزءًا او رطلًا من الاملاح المعدنيّة ذائبة فيها. وهي لكثرة املاحها لا حياة فيها لحيوان البتة. ومعلوم ان مياه البحار لا تفوق املاحها عادةً الاربعة بالمئة

واعظم جزء بين موادها المذكورة هو كلورور الصوديوم (chlorure de sodium) وهو ملح الطعام فانّ فيها منهُ نحوًا من ثلاثة ارباع باقي المواد التي فيها ككلورور المغنيسيوم (chlorure de magnésium) وكبريتات الكلس (sulfate de chaux) والمغنيسيا (magnésie) وغيرها من موادّ أُخر قاريّة وزفتيّة وكلها تولد فيها تلك المرارة

١) الطونيلاتو الف ليتر

والكراهة وهي مع ما فيها من فرط هذه المواد الغروية وكثرة ما ينشأ عنها من الضباب والابخرة لا تزال صافية رائقة تستبهج النواظر بجمال رُوائها غير ان الأيدي تتجافى عن لمسها لانها تذر فيها أثرًا زيتيًا. ولا ندحة لمن خاض فيها من ان يتطهَّر بُعيد ذلك بماء عذب زلال والّا لا يلبث زمنًا قليلًا حتى تجوش في جسمه حكَّة تُهيّج فيه البثور كما جرى للكثيرين. واكثر الذين يقصدونها للاستحمام يستحمّون فيها على مقربة من مصبّ الاردن في تخمها الشمالي حيث يتمكّنون بُعيد ذلك من الاغتسال في ماء الاردن

ولثقل ماء هذه البحيرة يطفو فوقها ما يرسب في غيرها ولذا لا حذر فيها على من لا يحسن السباحة فانهُ يعوم ولو رُبطت كلتا يديه وراء ظهره

واما عمقها فيبلغ في الجهة الشمالية نحوًا من ٤٠٠ متر وفي الجنوبية ٦ امتار وما بينهما يختلف باختلاف مواضعها اختلافًا تدريجيًا. وبالاجمال فهي تصلح لتسيير البواخر الصغيرة وبلغنا من عهد قريب ان الحكومة السنيّة قد منعت باخرتين صغيرتين لبعض الاجانب كانتا تمخران ماءها واصدرت ارادتها السنيّة برخصة لشركة عثمانية ان تسيّر فيها مراكب صغيرة تقريبًا للمواصلات التجارية وتسهيلًا لسكان هاتيك الاطراف ولمن ازَّمها من السيّاح والزوّار

ولا يخفى ان مساحة طولها التي لا يمكن ان يطويها الراجل او الراكب بأقل من ٢٠ ساعة تجتازها الباخرة بمدة لا تتجاوز ثلاث ساعات فضلًا عمّا وراء ذلك من تخفيف المشقَّة وتوفير اسباب الراحة

واما ارياف هذه البحيرة فكلّها بلاقع خالية من السكّان والدور والشجر ولا يقيم فيها الّا بعض الاعراب التعمريين وذلك في فصل الشتاء

والجبال الوعرة تكتنفها الّا الجهة الشمالية الشرقيّة منها فانها ساحل فسيح الارجاء بيد انهُ عقيم البقعة غيرُ حميء التربة تغطيه قشرة ملحيَّة جعلت ارضهُ سباخًا فهي لا تنبت الّا حيث تجري فيهما المياه الحلوة. ونباتها لا يُنتفع بهِ وهو في الغالب الحلفاء والأباءة والزّازة وما شاكلهُ من النبات المائي. وقديمًا كان ينبت في جوار هذه البحيرة وارياقها نوع من الشجر يُعرف ثمرهُ بالعنب السام او العنب المرّ فكان ظاهرهُ بهيّ المنظر الا ان داخله كان نتنًا عفنًا مملوءًا رمادًا وبخارًا وقد اشار اليهِ موسى في تثنية

الاشتراع (٣٢: ٣٢) قال: « من جفنة سدوم جفنتهم ومن كرم عمورة عنبهم عنب سم وعناقيدهم من مرارة »

والى اليوم ترى اكثر ثمار هاتيك الارض المجاورة لها نضيرة شهيّة غير انك اذا ما قطفتها تحوّلت بيدك الى غبار ورماد. على انّ هذه الارض وان لم تصلح الآن لتنبيتها وتشجيرها فهي صالحة لاستخراج المعادن فانها كثيرة فيها غنيّة بها كالحُمَّر والنطرون والكبريت وزيت البترول الخ. وحبذا لو تنتبـه الدولة الى ذلك فتنشئ ثمّة المعادن والمعامل والمالح وتكفي البلاد مؤنتها التي تستبضعها من ارض اجنبيّة بافحش ثمن. ولا يخفى ما ينتج ايضاً بذلك للدولة من الفوائد الادبيّة والماديّة

بقي علينا ان نروي في مقالتنا هذه الاسماء المشهورة بهـا هذه البحيرة وبيان موقع المدن الخمس منها

امّا البحيرة فانها دُعيت باسماء عديدة فهي تُعرف:

١ بحيـرة لوط نسبة الى لوط ابن اخي ابرهيم الذي انجاه الله مع آله من سدوم احدى المدن الخمس التي امطرها الله ناراً وكبريتاً

٢ البحر الميت لانّ مياهه لا تغتذي بها الحيوانات المائية اذ لا حياة لها فيها كما عرفت ولكون مائها في اكثر الفصول ولا موج فيه الّا في ايام قلائل حين تعبث به ايدي العواصف فيهيج ويثور غضبهُ لذلك

٣ البحيرة المنتنة لانها تنبعث عنها غالباً رائحةٌ خبيثة وذلك لوفرة موادها المعدنيّة

٤ بحيرة الملح اعتباراً لمائها الاجاج فالمادة الملحية فيه وافرة جدًّا وسكان هاتيـك الجهات يستخرجون منهُ سنويًّا ملحاً يسدّ عوزهم

٥ بحيرة الزفت لكثرة موادها الزفتية والقاريّة وكثيراً ما ترى بعض هذه الاجرام طافية فوق صفحات مائها يخالها الناظر عن بُعد ثيراناً لا رؤوس لها

٦ البحر الشرقي لمقابلتهِ للبحر المتوسط لكونهِ غربيَّهُ

٧ بحيرة البريّة والسهل لانّها في بريّة قاحلة وشمالها الشرقي سهل فسيح

٨ بحيرة سدوم اعتباراً انها محلّها على الرأي الارجح

امّا موقع المدن الخمس التي اشرنا اليهـا في صدر مقالتنا وهي سدوم وعمورة وصبوئيم وادمه وزغر فبين علماء الآثار اختلاف فمنهم من جعلها في الجهة الجنوبيـة من البحيرة حيث السهل الخراب ومنهم مَن زعم انهُ في الجهة الشماليّة حيث السهل القاحل الكبريتي الممتدّ منها الى اريحا. على انهم وان اختلفوا في ذلك فهم مجمعون رأياً على ان موقعها بجوار هذه البحيرة وان جانباً منها تعلوهُ مياهها الراكدة

وما يمكننا ان نقولهُ عن هذه المدن هو انها كانت قبل ان شملها الخراب الالهي حافلةً بالسكّان مترديةً ثوب الحضارة والمدنيَّة. ويخبرنا الفصل الرابع عشر من سفر التكوين ان كلًّا من هذه المدن كانت قاعدةً لملوك جبابرة فضلًا عن ان موقعها الطبيعي يستدعي ان تكون زاهرةً غناً. مزدهيةً بجمال موقعها مفتونةً بجنانها وغياضها المدهامَّة غنيَّة بوفرة مائها وخيراتها لان نهر الاردن العظيم كان يتشعَّب في غورها الزكيِّ التربة سيولًا فيسقي ارباضها ورياضها وحدائقها التي كانت ولا شك تفوق جنات الشام كثرةً وخصبًا (راجع تك ١٣ : ١٠)

واخيرًا يمكننا ان نقول ايضًا ان تحضُّر هذه المدن قديمًا وتألُّب السكّان فيها قد حملا ابرهيم الخليل على ان يتقدم الى العلي مسترسلًا في كلامهِ مكررًا طلبهُ اليه تعالى ان يعفو عنها (تك ١٨). غير انهُ لمَّا كان الفساد قد شمل سكّانها وكان جميعهم قد سكروا بلذَّة الاثم حتى لم يعد فيها بارٌّ سوى لوط وآلهِ انتقم الله من اهلها بان أمطر المدن وواديها الجميل نارًا وكبريتًا من السماء. فألهب ما كان هنالك خزينًا معدًّا من البراكين الناريَّة التي تعجَّلت دمارهم فطغى ماء الغور الراكد تحتها وجه هاتيك الارض فساخت بهم خاسفةً وظهرت البحيرة على ما نراها اليوم

الفوز بالمراد في تعريف حبّة بغداد

لجناب الدكتور نابوليون ماريني (تعريب حضرة شقيقهِ الاب انستاس الكرملي)

١ اللفظة ومرادفاتها وأصولها اللغويَّة

في بغداد نوع من مرض الجلد يخرج بهيئة حبَّة صغيرة ثم تعظم. واكثر مجيئها على الوجه وفي خروجها فيه تشوّههُ. وسُمّيت حبَّةً من باب المشابهة. وأُضيفت الى بغداد لكثرة ظهورها في دار السلام. وقد ظنَّ البعض ان لفظة «الحبَّة» بمعنى هذا النوع من البثرة اي bouton ليست عربية. قلنا: هي عربيَّة وعربيَّتها فصيحة لانها مأخوذة من باب المشابهة والمشابهة من المحاسن اللغويَّة وبالاخصّ من المحاسن اللغويَّة العربيَّة. وانت تعلم ان باب المشابهة واسع. وقد استعملها اطباء العرب بهذا المعنى كما تتحقَّقهُ من تعريفهم البُثرة اذ قالوا عنها انها «حبَّة كبيرة كالعلكة» الخ «وحبَّة بغداد» هي التسمية التي يُسمّيها بها الاطبَّاء المحدثون كما قالوا في الفرنسيَّة bouton de Bagdad.

واماً اهل الزوراء فلا يعرفونها الّا باسم « الأخت » ولها وجهٌ فصيح . وذلك انَّ هذه الحبَّة لا تخرج وحدها بل يكون معها غالباً حبوب اخرى متجاورة او متباعدة تشبهها كل الشبه وعليه فتكون كلّ واحدة منها أختاً للثانية . وهذا المعنى هو من معاني الأخت في العربيـة الفصحى . اماَّ العرب الاقدمون فقد سمّوها « عُدًّا او عُدَّة » اذا ظهرت في الوجه . قال الزبيدي : « العُدّ والعُدّة بضمّهما بثر يكون في الوجه . عن ابن جنّي . وقيـل هما بثر يخرج في (وفي بعض النسخ : على) وجوه الملاح » اه . ومعناها الاصلي مأخوذ من مادة ع د د التي يغلب فيها معنى « الجمع » على حدّ ما يُرى في معنى الروميَّة (add(ere كأنها من موافقات اللغات . وعليه فمعناها يُشير الى انها تكون غالباً ما يزيد عددها على الحبَّة الواحدة . ويُقال لها عند اطبَّاء العرب المولّدين « البُرَّة » قال في كتاب الرحمة (ومثلهُ في كتاب تسهيل المنافع) : « البُرَّة حبَّة كبيرة كالعلّكة تنبت معها حبوب كثيرة مشتبكة اي مختلفة . سبب ذلك اختلاف المأكول والمشروب والمسكن في البلاد الوبيئة » . ومعنى البُرّة القَمحة وسبب تسميتها هي المشابهة ايضاً كما في الحبَّة . وقد سمَّاها البعض باسم « التوتة » . وهي ايضاً من باب المشابهة لانها تكون حمراء وتكبر حتى تكون بحجم التوتة اي الفِرصادة . هذا ولو اردنا ان نتتبّع اسم هذا المرض الجلدي في كلّ البلاد التي يتكلّم اهلها بالعربيـة لاختلفت وتعدّدت باختلاف المواطن والمدائن . ولهذا نقف عند هذا الحدّ . (الى هنا من كلام العرب)

٣ً تعريفها الطبي

ما حبَّة بغداد وما أدراك ما هي ؟ — على ما قالهُ أُنّا (Unna) وبروق (Brocq) وغيرهما من علماء الامراض الجلديَّة تقيُّح يصيب الفرد من الناس مستقـلاً بنفسهِ وموضعهُ الجلد . وعليـه فالأخت منطوية تحت مَطْوى علم الامراض الجلدية وليس لها تعلّق بداخل نظام الاعضاء . وهذه الحبَّة تنتقـل بالعدوى على رأي جماعة وهي غير مُعدية على رأي الفريق الآخر . اماَّ العلة المحدثة لهذه العُدّة فانَّ الابحاث لا زالت قوادمها متصلة بخوافيهـا طلباً لها . وهي لم تزل الى يومنا هذا خافية فتأكَّ شاكَّةً شائكة كمن « يلذع ويصئي »

غير انَّ أبحاثي قد ادَّت بي الى نتائج تُذكر فتُحسب . خلاصتها : ان بُرَّة بغداد هي

لا جرم من الامراض العفنيَّة وتُعدي الغير بنفسها وفيها أحيأ.(١ (مكروب) والعدوى فيها من جوهرها وفتكها محصور في الجلد لا غير. وهذه التوتة ليست فقط خللاً بسيطاً خارجياً يحدث في الجلد كما يظنهُ الى يومنا هذا المشتغلون بعلم الامراض الجلدية بل هي ايضاً من عداد الامراض الداخليَّة. وهاءنذا أُثبت ذلك بالبيّنات الصادقة والبراهين الناطقة

٣ً هل الحبَّة البغدادية او الأُخت مُعدية ؟

إي. ولا شك في هذه الحقيقة. وناقل هذه العدوى هي الحشرات. وذلك انني لمَّا كنت طبيباً للمستوصف الكاثوليكي في بغداد اتَّجه لي ان استقصي البحث عن هذه الأُخت وبقيتُ زمناً طويلاً اتتبَّع فحصها وأُمعن في استكشاف امرها وسرّها وترعتُ في قوسها حتى لم يبقَ لي منزع فعسى هذا السعي يفيد القراء ويوقفهم على الحقيقة بوجه الوضوح والجلاء. امَّا الادلَّة على ذلك فكثيرة منها:

ان المصابين بهذا العُدّ كانوا يجاوبونني جواباً واحداً كلَّما سألتهم عنهُ وهو: ان التقيُّح حصل عقيب وَخز حشرة. امَّا المشكيّ عنهُ في إحداث هذا التشويه فهو البعوض او الجرجس وفي الغالب الذبابة وفي النادر البرغوث. واوَّل اثر يحدثهُ الوخز ويستلفت نظر الموخوز هو حكَّة شديدة. والدليل الثاني ان وجود الهوامّ المذكورة في هذه الاصقاع مدة ثلاثة فصول من فصول السنة يُوضح لنا كلّ الوضوح الاصابات المتعدّدة بهذا الداء في تلك الفصول اكثر من وقوعها في الشتاء. بخلاف ما يذهب اليهِ لاڤران (Lavran) القائل بان «الحبَّة تُرى من شهر ايلول الى شهر شباط ومنذ شهر كانون الاول او شباط لا يكاد يُرى اصابات جديدة حتى الخريف التالي». على ان لاڤران لو

---

١) الأُحيأ. تعريب مكروب. وقد جاء في المشرق ١ :٥٤٦ انهُ: «قد تقرَّر اليوم انَّ الباشلوس او المكروب ليست حُييوينات بل جراثيم آليَّة كالفطر» لكنَّنا قرأنا في كتب تبحث عن هذا الموضوع ان الاراء لا زالت متباينة. ومهما يكن من الامر فان تفسير اللفظة بما يؤدي معناها حقّ التأدية بالعربية ممَّا لا يخلّ بنواميس التعريب. وكما ان الافرنج ابقوا لفظة المكروب مع تحقُّقهم انها ليست حيَّة (اذا فرضنا انها ليست من الحييوينات بشيء) كذلك نُبقي تسمية «الاحيأ» عليها اتباعاً للوهم ان كان ثمَّ وهمٌ. على حدّ ما يقال غابت الشمس وغابت النجوم مع ان الحقيقة ليست كذلك على رأي العلماء في هذا اليوم كما لا يخفى عليك. انتهى قول المعرّب

(المشرق) لم تنكر انَّ للمكروب او الباشلوس حياةً. وانما حياتهُ نباتيَّة لا كحياة الحيوان

توغل في أبحاثه لحقق انَّ التلقيح يحدث في فصلي الصيف والخريف . وان التقيُّح الذي يبدو في الخريف او الشتاء ليس الَّا نتيجة الحضانة التي اغفى الطرف عنها . وهي مع ذلك غير منكرة . وهذه الحشرات تمصّ السيَّة من الاخوات المتقيّحة وتنقلها الى الاصحَّاء فتلقحهم اياها

ومن هذه الادلة ايضاً ان هـذه البزَّة تظهر في أغلب الاحايين على المعاري وليس من الممكن ان يحدث العفن في تلك المواطن بواسطة وسائل الهواء او المعدة . ولندع المسيو كرَّادو Carrado احد اطبَّاء الصحَّة في حلب يتكلم قليلاً . قال : « . . . ومها بذلتُ من البحث في هذه عشر السنوات فقد ثبت لديَّ ان الحبَّة لا تظهر على مستورات البدن . ولم اتوفق الى العثور بواحد يفيدني عن السبب . فقد قيل لي دائماً ان البزَّة لم تُرَ في تلك المواطن (١) »

هذا وان السيَّة لا تنتقل على يد نوع واحد من الحشرات بل على يد انواع شتى . منها ما ذكرناه فويق هذا ومنها وسائط اخرى يمكن بها انتقال العدوى كتقبيل شخص مصاب بحبة متقيحة لشخص آخر سالم منها . او وضع قطنة على حبَّة متقيّحة ثم اعادة وضعها على جرح دامٍ او ذي قيح في شخص ثانٍ ليس فيه هذه الحبَّة . فتنتقل اذ ذاك اليه بواسطة العدوى . وهذا التحقيق ينافي كل المنافاة ما قرَّره كرَّادو الطبيب المذكور الذي يذهب في السنة الى ان « العدوى لا تنتقل الَّا بنوع واحد من الحشرات وبنبات خصوصي مجهول في هذا اليوم ومنتشر في البلاد التي تحدث فيها هذه الحبَّة » . وقد رأيتَ وهنَ مدَّعاهُ ممَّا تقدم من الشرح . واليك الآن تتمة كلامه بنصه الحرفي معرَّباً قال : « والجهلة لعلم الطب يستصعبون في نفوسهم ادراك هـذا الامر وهو كيف ان وَخزة حشرة تُوجد في حلب فقط او في سائر البلدان التي يوجد فيها نفس هذا الداء وان كان بدرجات متفاوتة تفعل هذا الفعل مع انهُ يوجد مثل هـذه الدوبية في بلاد أُخرى ولا تحدث نفس هذه الاحداث . فالجواب عن هـذين السؤالين انهُ بموجب ما بذلتُ من البحث في هذا الصدد قد تحقق وجود هذه الحشرة في آسية كلها مع ان الحبة لا توجد الَّا في حلب وفي بعض مدن أُخرى قليلة . وينسب ذلك الى وجود نباتٍ

(١) راجع Revue médico-pharmaceutique de Constantinople. N°. 7, p. 97, année 1891

مجهول اليوم . اذ ان نباتات هذه الاصقاع في نهاية الغنى . ومن هذا النبات تمتص الحشرة جرثومة الداء . وبعد ان تُدخلها في جسم الصحيح البدن يطرأ عليه الطارى المشؤوم (١) اه

وتحقيقي يخالف ايضًا مذهب من ينسب تلك الحبة الى الماء والهواء والازهار والنخيل ونحو ذلك من هذا القبيل . ولهذا أُعيد الكلام لمزيد التأكيد : ان حبَّة بغداد او العُدَّة مرضٌ معدٍ وتنتقل عدواهُ الى حيث تذهب جراثيمهُ وعلى من تقع عليه من الآدميين مهما كان موطنهُ او عمرهُ . وعليه فالبُرَّة ليست من الامراض التي تصيب الفرد من الناس ولا من جنس القِرَّأة (٢ اي المرض المتوطن كما يظنهُ البعض او كان يظنهُ . لان الجرثومة المرّضة تنتقل وتظعن الى شأوٍ بعيد . وقد رأينا ما يثبت كلامنا هذا ان الطبيبين بوانه (Boinet) وديپره (Déperet) لاحظا الحبة على اناس لم يتغربوا عن فرنسة ابدًا لكنها انتقلت اليهم بالعدوى عندَ مجاورتهم الجند المصابين بها من الآتين من تونس (٣

بقي عليَّ ان اذكر عاملًا آخر من عوامل العدوى وهو من الاهمية بمنزلة رفيعة ولهذا أُشبع الكلام عنها

ان اغلب المصابين بالأخت هم الولدان . واذا بلغت العُدَّة طور التقيُّح علتها جُلبةٌ ثخينة وهي تسقط كما خلفتها جلبةٌ جديدة . واذا سقطت يبست وصارت هباء منثورًا مبثوثًا في الهواء . ثم ان هذا الذرّ الحاوي الجراثيم اليابسة يتساقط على جرح او قرحة او سحج او خدش او نحو ذلك او غيره من انواع تفرّق الاتصال . وعلى هذا الوجه يَقري الانسان ضيفًا ولا يدري به واذا مضت ايام وهو على هذه الحالة شعر به وللحال يشعر ايضًا بثقل وطأتهِ . واذ ذاك يراهُ يعدُّ شيئًا كثيرًا من اطنابهِ في غضّ إهاب ويغدو ذاك

١) راجع المجلة المذكورة في عددها السابع

٢) القِرَّأة هي ما سمَّاهُ بعض كتبة هذا اليوم بالمرض المتوطّن (endémie) ونستدل على ذلك من كلام الاصمعي اذ قال : « اذا قدمتَ بلادًا فمكثت بها خمس عشرة ليلة فقد ذهبت عنك قِرأة البلاد وقرء البلاد » (اه عن التاج بحرفهِ) . فيؤخذ من ذلك ان القرأة هي الوباء الخاص بالبلاد المتوطن بها كما يتّضح من أدنى تأمُّل

٣) راجع Traité de médecine et de thérapeutique pat Brouardel, Gilbert et Girode, T. III, p. 909

تفرّق الاتصال قرحة سيرها سيرُ الأُخت ونصولها فصول هذه الحبة. وهي من هــذا القبيل تشبه الجدري. وعلى مثل هذا الوجه تُفسَّر كيفيَّة ظهور العدَّة على بعض الناس وهم لا يعرفون كيف وصلت اليهم. والتحقيق الآتي يكون لك بمنزلة دعامــة تدعم به يقينك

اخذتُ شيئًا من الجلبة (القشرة اليابسة) وحللتها بالمقطَّر ثم لقَّحتها غلام صيدليّتي وافرغت كل وسعي في اتخاذ الوسائط المضادَّة للتعفُّن فظهرت على جلده بَثرة ثم انتقلت من طور الى طور على حد ما يُرى في الاخت الاعتياديَّة من التطويرات (١ من التهاب وتقيح وندب غير ان شفاءها تمَّ قبل ان يتمَّ شفاء الاخوات الطبيعية والمميّز الاعظم لحبة حلب هو انها لا تُحدث ابدًا اكتظاظًا في الغدد وان بلغ امتدادها مبلغًا عظيمًا

وزد على ذلك ان سُمّية الحبــة الحلبية تبقى فيها ما شاء الله وهذا الامر يجهلهُ اغلب الناس. ولهذا يجب على المرضين ان يغسلوا جميع الامتعة والألبسة التي اتخذها المصاب بالعدَّة والَّا فان المرض يبقى متروبًا الى ان يحين لهُ فرصة فيثب ولا وثبة الظليم الجافل فهو اذن « مُخرنبقٌ لينباع . ومُجرَمّز ليسدّ الباع »

وللعدوى طور حضانة طويلة المدَّة فاذا حدث تلقيح الجرثومــة لجسم ووافقتهُ الظروف والاحوال يظهر فيــه الفساد بصورة بثرة واحدة او بثور متعددة متجاورة او متباعــدة ولا يصحب ذلك كلهُ شيء من العواقب الوخيمة كما يُرى في سائر انواع العفونات وبالعكس فهــذه العفونة ترجع بعض الاحيان على عقبها مدحورة اذا كانت الدوافع (٢ عن ذلك المحلّ شديدة البأس صعبة المراس. ثمَّ يحدث باثر تلك الموقعة بثرة

---

١) جمع تطوير مصدر طوَّره اي نقلهُ من حالة الى حالة ومن هيئة الى هيئة ومنهُ قول التاج في كلامه عن الخضر: « وقد أُعطي قوَّة التطوير في اي صورة شاء » وهــذه اللفظة من مستدركاتي على دواوين اللغة

٢) الدوافع وبالفرنسية Phagocytes ou phagocytose كُرَيَّات جوالة تنتقل في خلال انسجة البدن وتهجم على ما يفاجئ الجسم من الأُحَيَّاء الاعداء محافظة على سلامة الصحة من الخطر والضرر. وقد سمَّاها الضياء (٣: ٢٢٦ و٢٢٧) « بالرواعي » من رعى الشيء اذا حفظهُ. لكننا رأينا في هذه التسمية خللًا وهو زيادة معنى آخر على معاني الرواعي الكثيرة في حد ذاتها. ولهذا فضَّلنا عليها كلمة « الدوافع » وهي اوفق ايضًا للمعنى لما في اشتقاقها من تأدية معنى وظيفتها الحقيقة الاصليَّة اذ لا تملّ من المدافعة عنهُ بانتباه وتيقُّظ كلَّما نابهُ نائبة

ضعيفة لا يُلتفت اليها وتبقى بضعة اسابيع لا تؤذي المصاب بها بشيء. بذكر. بخلاف ما يؤكدهُ بعض الاطباء بانهُ من اللازم اللازب ان تدوم كل حبة سنة واحدةً بدون زيادة ولا نقصان

هذا واني لا اختلق هذه الأقاويل بل اليك بحرفه المعرَّب ما قالهُ بهذا الصدد حضرة المسيو كرّادو : « ومهما زعم الزاعمون انَّ الحبة تنتقل من طور الى طور في مدَّة سنة واوكد كل التأكيد ان هذه المدة قد تتردَّد بين ١٠ شهور و ١٨ شهرًا ». وهذا لا ينفي قولي الاول اي انها قد تدوم بعض الاحيان ٢٤ شهرًا او ٣٠ او ٤٠ (١

٤ هل تُلقَح الحبّة البغدادية؟

نعم تُلقَّح ودونك الاختبارات التي تدعم هذه الحقيقة وقد اصبحت اليوم لديَّ من الحقائق الراهنة. قد اخذت شيئًا من المِدَّة عن بَثرةٍ أمْ ثمَّ لقَّحتها لاربعة من جيراني فكانت فيهم النتيجة واحدةً اي ظهرت فيهم أعراض مرضيَّة واحدة وهؤلاء الاربعة كانوا ممن أُصيبوا بالمدَّة في صغرهم

واوَّل هؤلاء الاربعة كان الخواجا يوسف كُمُش فألقحتهُ المِدَّة في ساعده الايمن في ١٣ شباط سنة ١٨٩٦ وما مضى على الإبرة ٢٤ ساعة الّا وظهرت بثرة ثمَّ تحوَّلت نقطة وكان لون جُلبتها اسمر ادكن وبعد ١٠ أيَّام برئت بالتمام

وكان الثاني الخواجا نصوري جرجس ولقحتهُ في ذلك اليوم عينه في معصمه وظهرت عليه نفس الظواهر التي ظهرت في الاول. ألَّا ان الادوار الثلاثة من التهاب وتقيُّح وندَب بانت فيه أتمّ البينونة وطالت مدتها وكانت الجلبة أثخن من الجلبة الاولى وأمسك بالحبَّة. وكان لونها اغبر على سمرةٍ وشُفي منها بالتمام في اليوم الثاني من شهر آذار من تلك السنة

وكان الثالث زَيّا هرمز وكان تلقيحهُ في ١٨ شباط سنة ١٨٩٦ في الجانب الوحشي من معصمه الايمن وفي اليوم الثاني ظهرت نقَاطة محاطة بهالة حمراء وكانت الجلبة سريعة السقوط وشُفي منها في ١٢ من الشهر التالي من تلك السنة

وكان التلقيح الرابع لعجوز في ساعدها وكانت الاعراض نفس الاعراض التي رُئيت

---

١) راجع المجلة الطبية الصيدلية أي: Revue médico-pharm. de Const. N°. 6, p. 98, ann. 1891

في الاشخاص المتقدم ذكرهم الّا ان مدة الشفاء طالت عليها

ومما ذكرناهُ الى هنا يثبت لك ان تلقيح العُدّ هو امر مقرَّر وليس فيهِ ادنى ريب وزد على ذلك انَّ هِكمَن (Hickmann) يشهد لك بالامر في كتاب الطب والعلاج لانهُ زاول التلقيح للحيوان بل وللانسان ايضًا وفازت اختباراتهُ بالقدح المعلَّى (١

اما تلقيح الاصحاء تفاديًا من هجمة العدَّة على حرّ الوجه بكمال المدة فلا اظنهُ يفضي الى الغاية المطلوبة. واني لم اجرّب ذلك على احد. لان البغادّدة لا يستسلمون الى مثل هذا النوع من عَجْم العود ولا الى هذا الضرب من التحوطات الصحيَّة. لان العدّ ليس سيء المغبَّة في عيونهم مع انهُ ظهر لي وبان ووضح للعيان انَّ البرَّة تمدّ امتدادًا عظيمًا في امزجة المبرودين (٢ (اي الليمفاويين) لا بل وقد تضرّ بالمجموع العضوي اذا كان المصاب بالتوتة لطيفًا نحيفًا وتضعف فيهِ الدم ويتولَّد عن هذا الضعف هزال محسوس. فعلى مثل هؤلاء الناس تشاهد التغيّرات العظمى التي هي من نتاج التعفن وحدهُ لانك اذا استقصيت النظر في تلك الاعراض لا تتمالك من ان تكون من حزبنا مقاومًا الحزب الثاني القائل بان حبة بغداد ليست من اثر عفونة (الباقي للآتي)

تاريخ دير مار انطونيوس الملقب بقزحيا

نبذة تاريخيَّة لحضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري

انتطفها من تاريخ مخطوط للطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات

وأضاف اليها عدَّة فوائد مع ملخَّص تاريخ الدير الى ايامنا

قال المطران جرمانوس فرحات في تاريخهِ : وفي سنة ١٧٠٨ (اي بعد تأسيس الرهبنة بثلث عشرة سنة) اخذ الرهبان اللبنانيون ديرًا في جبة بشرَّاي في جانب الوادي المقدس على اسم القديس مار انطونيوس الكبير يلقَّب بقزحيا. وهي لفظة سريانيَّة (اصلها ܟܢܙܐ ܚܝܐ) معناها كنز الحياة. وهو دير مشهور في بلاد الشرق بالعجائب والآيات ولاسيا بشفاء المعترين من الارواح الرديئة من كلّ ملة ومذهب تقصدهُ الزوَّار من كل مكان

١) راجع كتاب الطب والعلاج اي : Traité de médecine et de thérapeutique. T. III, p. 909

٢) راجع المشرق ٤ : ٥٤٧ في الحاشية الموسومة بالرقم «١»

للشفاء والتبرك وتشهد الامم الغريبة بعجائبه. والمعلم كارانيوس اللاتيني ذكر هذه العجائب شهادةً على صحّة دين المسيح في كتابهِ المسمى صقيل المرآة ردًا على بعض الملحدين

وكان تسليم هذا الدير الى الرهبان في شهر تموز من يد المطران يوحنا حبقوق الذي كان متوليًا عليه. وكان على شكل محبسة وفيه كنيسة ومغارة يسكنهُ كاهن وراهب معتوه. وذلك في عهد البطريرك يعقوب عوّاد وعن يدهِ. والرهبنة عمرتهُ بخلاف ما كان. واقتنت لهُ املاكًا واثاثًا وتكلّفت عليه حينئذٍ مبلغ ٢٥٨٦٧ قرشًا (١

ويظهر ان هذا الدير قديم. قال البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخهِ: انهُ في سنة ١٤٧٢ كان مترئسًا على دير قزحيا القس جرجس الاهدني فسيم خوريًا بردوطا(٢

قال فرحات وفي هذه السنة (اي سنة ١٧٠٨) عملوا (اي الرهبان اللبنانيون) الجمع العام في شهر آب قبل اوانهِ وذلك لاجل الاخوة الذين ارسلوهم الى رومية. وثبتوا فيهِ الاب عبد الله قرألي رئيسًا عامًا. وجدّدوا فيه بعض فرائض تخص المدبرين ورؤساء الاديرة والمبتدئين وامروا فيهِ بتجديد النذور مرّة واحدة في السنة وأن يكون نهار عيد القديس يهوذا الرسول الواقع في ١٩ حزيران لان ليلة عيده تثبّت القانون(٣. وحدّدوا بألّا يدخل الجمع العام الّا اصحاب الدرجات المقدسة. ولم يقيموا رئيسًا خاصًا لدير مار انطونيوس قزحيا لانّ ابتداءهُ كان عسرًا جدًا. ولذلك لم يوجد من هو كفوء لهُ الّا الرئيس العام فلبث فيهِ يدبّرهُ. وهو مع ذلك يزور الديورة الاخرى. لانّ من عادة هذه الرهبنة ان يتفقّد رئيسها العام جميع اديرتها مرة كل سنة. وان تعذّر فيرسل نائبًا عنهُ كما انهُ من العادة ايضًا ان كل دير يقيم بذاتهِ رئيسهُ الذي يتصرّف بتدبيرهِ متكفّلًا بهِ. والكل يرجع الى الرئيس العام لانهُ المحرّك الاول

وفي سنة ١٧١٠ وقيل ١٧١٣ حصل خسارة كبيرة على دير قزحيا من عيسى حماده

---

١) وكان وقتئذٍ رئيسًا عامًا على هذه الرهبنة الاب عبد الله قرألي الحلبي المؤسس الاول للرهبنة. الذي أُقيم فيما بعد مطرانًا على ابرشية بيروت سنة ١٧١٦. هذا وسيأتي في محلّهِ ذكر زيادة عمارهِ وتغيير كنيستهِ وتجديدها اولًا وثانيًا

٢) راجع شرح هذه اللفظة في المشرق (٢: ٦٤٩ الحاشية ٥)

٣) حيث كان ذلك قبل تثبيت القانون من الحبر الروماني فبعد تثبيتهِ منهُ صار هذا تجديد النذور نهار عيد ابينا مار انطونيوس الواقع في ١٧ كانون الثاني كرسم الفرائض

حاكم جبة بشرّاي فانهُ أخذ وديعة البطرك يعقوب التي كان اودعها عند الرهبان قبل عزلته التي كانت في هذه السنة ذاتها. اما الوديعة فعبارة عن دراهم مبلغها خمسة اكياس (١

وذلك انَّ البطريرك كان اخذ من الرهبان ورقة بكميَّة الدراهم وكيفيتها. وبعد عزلته اخذ اولاد اخيه الورقة منهُ واعطوها الى عيسى المذكور وكأنوه باخذ الدراهم بالقوَّة الجبريَّة من الرهبان فجاء الى دير قزحيا حيث أُودعت الدراهم واخذ الوديعة بتمامها بموجب الورقة التي اخذها من أقارب البطرك الذين اوهبوهُ اياها بغير رضى المطارين والرهبان والموارنة وبيت الخازن

وفي سنة ١٧١٢ ابتدأوا في عمار محبسة مار بيشاي جانب دير قزحيا وكانت محبسة صغيرة خربة فعمَّروها ووسَّعوها ونقروا فيها مغارة وعملوها كنيسة على اسم مار يوحنا الرسول. وكان معاش هذه المحبسة على دير قزحيا لانها تحت طاعة رئيسهِ. فالمعاش واحد والرئيس واحد لا يتميَّز مكان عن مكان بشيءٍ ما (٢. قال الدويهي في تاريخ سنة ١٥٢٦ ان الخوري يونان المتريتي رئيس مار انطونيوس قزحيا نقض قلّد الحبس (اي المحبسة) وجدَّدهُ. وزاد على مذبح مار بيشاي مذبحين آخرَين احدهما على اسم السيدة والآخر على اسم مار جبرائيل رئيس الملئكة (٣

واما محبسة مار ميخائيل فلم تكن اقل قدميَّة بل ربَّما هي اقدم من غيرها. قال الدويهي: وفيها (اي سنة ١٤٩٥) عمر القس بركة البقوفاني محبسة مار ميخائيل بقرب قزحيا وكانت سابقًا حظيرة للمعزى واستحبس بها الى نهاية حياتهِ الطاهرة. وقال ايضًا: وفي سنة ١٦١٧ توفي الخوري ميخائيل الاهدني الذي اخذ السكنى بمحبسة مار ميخائيل التي عمرها اولًا القس بركة البقوفاني. ثم خلفهُ القس موسى اليموني ثم القس يعقوب من برتاسا (٤ من معاملة البترون ثم القس ميخائيل ثم جبرائيل ثم الخوري ميخائيل المقدم

١) واكيس خمس مائة قرش
٢) ويظهر ان هذه المحبسة كانت أقدم من الدير
٣) ثم يقول الدويهي واس عجيب في ذخيرة مار بيشاي. انهم نقلوها مرات من المحبسة الى دير مار انطونيوس فكانت ترجع من ذاتها الى موضعها
٤) وبرتاسا خالية الآن من الدار والسكان وهي من املاك دير سيدة ميفوق

ذكرهُ وكلهم من اهدن وبعد وفاة هذا خلت الحبسة

قال فرحات: وفي سنة ١٧١٤ امتلك (١ الرهبان اللبنانيُّون مطحنةً عظيمة على نهر ابي علي في زاوية طرابلوس في ارض قرية كفرحورا بجانب الجسر الذي تحت دير كفتين وكانت مهجورة لا صاحب لها وانَّما تُلقَّب بطاحون الشيخ. فأخرج الرهبان فيها وفي الاراضي التي حولها حججاً وفتاوى شرعيَّة وتملَّكوها وجدَّدوا عمارها وتكلَّفوا عليها نحو الفي قرش. وغرسوا اراضيها كلها وملكوا معها ايضاً بستان بُطَيش عند حدود ارضها. وكان الساعي في اقتناء هذه الاملاك كلها احد ابنائنا. هذه الرهبنة وهو القس توما اللبودي الحلبي الذي كان واسع العقل حسن الفطنة والمعاشرة فصيح اللسان وكان يومئذٍ وكيل الرهبنة العام. وكان انتهاء تجديد هذه المطحنة في السنة الآتية

ثم يقول وفي سنة ١٧١٤ أُقيمت دعوى على مطحنة نهر ابي علي خاصة دير قزحيا (٢ من محمد باشا والي طرابلوس واقام وكيلًا عنهُ بالوقفة الشرعيَّة الشيخ مصطفى افندي. ومن طرف دير قزحيا أُقيم وكيلًا الاب جبرائيل فرحات. ومن بعد المحاقة والمشاجرة والكشف والبيان قد ثبت الحق الشرعي لدير قزحيا. وأُخرج الحكم بوجه الوكيل مصطفى افندي المذكور. وحينئذٍ تصرَّف الرهبان بالمطحنة التصرُّف المطلق واتقنوها جيدًا. وقد نظم ابن فرحات شعرًا نُقر على عتبتها يعلن ذلك وهو:

قد طاحونٌ بزاويةٍ بدت نجماً يدور السعد بين فراشها
لقد اعتنى ببنائها وعمارها رهبان لبنان لدور معاشها

وفي سنة ١٧١٤ رجع البطريرك يعقوب الى كرسيهِ منصورًا بمؤازرة قداسة البابا اقليميس الحادي عشر. فانَّ هذا الحبر ارجعهُ الى كرسيهِ وامر الطائفة بطاعتهِ لانهم عزلوهُ دون امره. فاطاعت الموارنة حالًا اوامر قداستهِ والكرسي الرسولي. وفي هذه السنة عملت الرهبنة مجمعاً عاماً في دير مار انطونيوس قزحيا وثبتوا فيهِ الاب عبد الله قرألي رئيساً عاماً ايضاً فادَّى الطاعة للسيد البطريرك في دير قنوبين كالعادة

ثم بعد انتهاء هـذا المجمع بعشرة ايام سقطت قطعة كبيرة من الجبل الذي فوق دير قزحيا نصف الليل على الدير فهدمتهُ. وقُتل تحت الردم راهبان احدهما القس يوسف

---

١) كذا في الاصل. ونظنُّ ان امتلاك الرهبان للمطحنة كان سنة ١٧٠٥. وهذا اقرب لما يأتي ٢) وهي الآن خاصة وظيفة الشام من زمان

بُتن الحلبي (احد مؤسسي الرهبنة) والآخر الاخ رافائيل زوق مصبح وهو من طائفة (عائلة) الحواقلة. فسبَّب ذلك حزناً عظيماً في الرهبنة وخسارة كبرى

وفي سنة ١٧١٦ عمَّر الرهبان اللبنانيون دير قزحيا الذي كان انهدم كما ذُكر أحسن مما كان عليه اولاً فكان خرابهُ سبب عماره. وفي هذه السنة اقام الرئيس العام قرالي رهباناً حبساء في محبسة مار بولا (١ ووضع لهم قوانين ورسوماً يسلكون فيها (تحت طاعة الرئيس وعلى حساب ديره). وفيها سيم الاب عبد الله الرئيس العام مطراناً على بيروت وأقيم ثانياً عاماً عوضهُ الاب جرمانوس فرحات (ثم أنتخب رئيساً عاماً ثلثة مجامع ثم سيم مطراناً على حلب سنة ١٧٢٥ وسيامة كليهما بيد البطريرك يعقوب عواد)

وفي سنة ١٧٢٣ اخلى الرهبان اللبنانيون دير قزحيا وذلك لاجل نوائب الزمان وزيادة المال عليه. وبعد شهر وقيل شهرين من خروجهم منهُ ارسل الحاكم يطيّب خاطرهم ورفع الظلم عنهم. وصار المرتب على الدير كل عام خمسمائة قرش وعشرين قرشاً وعشرة شنابل(٢ حنطة وعشرة شنابل شعير. فرجع الرهبان الى ديرهم كما كانوا

وفيها صار المجمع العام في دير قزحيا فانتُخب الاب ميخائيل اسكندر الاهدني رئيساً عاماً وهي ابتداء رئاسته العامة. وفيه اضافت الرهبنة الى قانونها ثلثة ابواب تتمة للثمانية عشر باباً وهي التواضع الذي صار نذراً رابعاً. والمحبة الاخوية. والصبر. وفيه صار الفحص عن جميع الفرائض المفروضة قبلاً من المجامع العامة ومجامع المدبرين فاثبتوها. واثبت في تلك السنة البطريرك يعقوب الابواب الثلثة المقدم ذكرها

وفي سنة ١٧٢٥ صار ضيق على البطرك يعقوب من غير المؤمنين لاجل اسباب حدثت من ابن اخيه وبعض اقاربه وغيرهم من جبل لبنان فهرب البطرك المذكور الى دير قزحيا واختبأ هناك نحو شهرين. وبهذه المدة حضر الى دير قزحيا احد مشايخ الحوازنة يسمى عبد الله ليقضي بعض اشغال تختص بالسيد البطريرك وغيره. وحين اراد الخروج من الدير التقى ببعض اعيان من بيت حماده جملتهم ثلثون رجلاً. وكان هو وحدهُ فانتشروا عليه وامسكوهُ لاجل حكمه على ناحية من بلاد عكار وقد كان بيت حماده يدعون ان البلاد ميراث لهم. فخرج الرهبان وخلَّصوهُ من بين ايديهم وصرفوهُ بالسلامة

١) وهي الحبسة القائمة الان قبليّ الدير المذكور ٢) الشنبل ستة وقيل ثمانية أمداد

وفي هذه السنة ايضاً ابتدأ الرهبان اللبنانيون باستعمال نزع الاسكيم عن رؤوسهم في خدمة الاسرار المقدسة وتناولها . وسببهُ هو انهُ لمَّا طلب المجمع المقدس رهباناً لدير مار بطرس ومرجلين في رومية أمروا بعد حضورهم بان يساووا بقيَّة الرهبانيّات في خلع الاسكيم عن رؤوسهم كما ذُكر . فقدَّموا العرض لرئيسهم العام الاب ميخائيل اسكندر يخبرونهُ بذلك . ومن حيث انَّ ذلك كان أرب الكثيرين من هذه الرهبانيَّة وخاصَّةً مؤسسها المطران عبد الله فحدث انَّ السيد البطريرك جاء الى دير قزحيا لامرٍ ما وهناك منح الاجازة والانعام بخلع الاسكيم لجميع الرهبان اللبنانيين . وذلك بسعي المطران عبد الله المرقوم والمطران جرمانوس فرحات وبحضورهما . وهذه صورة الانعام بالحرف :

يعقوب بطرس البطريرك الانطاكي

وجهُ تحريره هو انهُ حضر قدَّامنا اولادنا الاعزاء القس ميخائيل رئيس الرهبان اللبنانيين العام مع البعض من الرهبان المذكورين . وذكروا لنا ان رهبانهم في رومية التزموا أن يكشفوا الاسكيم عن رؤوسهم في القداس الالهي ووقت أخذ الشماسة القربان كعادة اهل الغرب وغيرهم . وطلبوا منّا أن يفعلوا ذلك ليبقى رهبانهم جميعاً متساوين في الطقوس . فتكلَّمنا مع البعض من اخوتنا المطارين ورأينا ان ذلك موافق وغير مضادّ الصواب فاعطيناهم الاذن بذلك بخاطرنا ومنحناهم البركة تحريراً في ٢ ت ٢ سنة ١٧٢٥ مسيحيَّة

وفي هذه السنة انتقل لرحمته تعالى القس انطونيوس الباني وقد كان حبيساً في وادي قزحيا . وهو اول حبيس توفي من هذه الرهبنة . وكان قام في المحبسة عشر سنين منها ست سنين يلازم عمل اليد خارج القلاية في الاوقات المعيَّنة في القانون الذي رتَّبهُ لهم المطران عبد الله منشئ هذه الرهبنة . وبعد ذلك اقام اربع سنين لا يخرج خارج القلاية الّا لتقدمة الاسرار الالهيَّة لا غير

وفي سنة ١٧٢٦ اشتكى ابن اخي البطريرك على عمّهِ المذكور الى حاكم طرابلس . فارسل الحاكم ٣٠٠ جندي لكي يقبضوا على البطريرك فهرب الى دير مار اليشاع واختبأ هناك . فحضر العسكر وأمسكوا الرئيس العام والمدبّرين واستباحوا الاموال وتكلَّفت الرهبنة بهذه الحادثة ١٢٠٠٠ قرش

وفي سنة ١٧٣٨ تملَّك الرهبان اللبنانيون مكاناً موقعهُ في الوادي المقدس يسمَّى

دير حوقا على اسم والدة الاله الكلي طهرها قريبًا من قزحيا . وكان في الابتداء متحدًا بدير قزحيا ثم صار ديرًا على حدتهِ . امَّا الآن فهو يخصّ دير قزحيا وهو كنيسة رعيّة لمزرعة حوقا التي تخصّ هذا الدير بكل املاكها ويخدمها كاهنٌ منهُ .

ودير حوقا هذا هو قديم قد بناهُ ابن الصبحا من كفرصغاب . قال البطرك اسطفان الدويهي في تاريخ سنة ١٧١٥ يونانيَّة (الموافقة لسنة ١٥٠٦ م) : سارت العساكر الى فتح جبة بشراي فاحرقوا البيوت ودكوها الى الارض . وضربوا اهالي حصرون وكفرصارون . واشار اليهم ابن الصبحا المذكور ان يجرُّوا ماء نبع بشراي على قلعة حوقا ففعلوا وملكوها بقوَّة الماء . فأذنوا لهُ ان يلبس عمامة بيضاء يانس وان تقوم العبيد بخدمتهِ . ثم اناب ابن صبحا الى الله وتاب عن سوء فعلهِ وعمَّر سيدة حوقا لسكنى الرهبان وهو بالقرب من البرج الذي كان في الشير

وقال ايضًا في سنة ١٦٢٤ اقام البطرك يوحنا الاهدني مدرسةً لتعليم الاولاد في دير سيدة حوقا لافادة الطائفة وامر بان يُرسل الذين يفضلون غيرهم بالعلم والاداب الى مدرسة رومية . وقال ايضًا في تاريخ سنة ١٦٣٢ ان فرنسيس من بيت جلياق (Fr. de Galaup) من مدينة اكوينا (Aix) الفرنساوي الجنس زهد في الدنيا وترك استاذيَّة قسطول (Chasteul) واستحبس في دير سيدة حوقا قرب دير قنوبين

وقال في تاريخ سنة ١٧٣٨ : وفي شهر حزيران توفي في رومية الحبيس سركيس بن الرز مطران دمشق ولهُ من العمر ٣٦ سنة . وكان قد درس في رومية ونسك في محبسة دير قزحيا . وعُني بطبع الشحيم ووقف تركتهُ لاجل اسعاف الطائفة . وقال فرحات في هذه السنة اي سنة ١٧٣٨ عقد الرهبان اللبنانيُّون مجمعًا عامًّا وثبَّتوا فيهِ الاب توما اللبودي رئيسًا عامًّا عليهم . وكان وتتنذ في رومية بشان اثبات المجمع اللبناني

وفي سنة ١٧٤٠ م وجَّه بيولردي الى رهبان دير قزحيا ودير مار اليشاع هذه صورتهُ بالحرف :

صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى دير قزحيا ومار اليشاع والسكان جم وفي مزارعهم بوجه العموم . والثاني نخبركم بان فخر الملة المسيحية عمدة الدولة الفرنساوية جنا القنصل بون انهى لنا انهُ متوم عليكم من طرفنا والتمس لكم استالة خاطر ورضًا . فبموجب التماسهِ اصدرنا هذه البيولردي وارسلناهُ اليكم . فحال وصولهِ ووقوفكم على فحواهُ تكونون طيِّبين القلب والخاطر وتتأبدون في اشنالكم واعمالكم وابراد ديركم فلا يجيئ الاكل خير عليكم . ورأي الله امان

رسوله ثم رأينا تعملون بوجبه ولا خلافه واعتمدوه غاية الاعتماد في ١٠ شوال سنة ١١٦٠ الموافقة للسنة ١٧٤٨ م (مكان الختم)

وفي سنة ١٧٤١ توجه المقدم احمد ابن المقدم محمد الايعالي طالباً ابن حسين ديب القزلباش ليقتله. فمر بقرية العربة المختصة بدير قزحيا فحرق العمار الذي بها وكان سبعة أقبية يعلوها سبع خزائن وفوقها بيوت فاحترق كل ما كان فيها من الحبوب والنحاس وأواني الفضة والامتعة. وهكذا الدبس والزيت والخمر وغير ذلك مما يساوي قيمة الفي قرش. فحينئذ توجه الرئيس العام الاب توما لبودي الى مدينة طرابلس وعرض الامر الى سعادة الوزير مصطفى باشا فصدر امره بالمرافعة الشرعية لدى القاضي مع خصمه المذكور. وعب المرافعة والكشف ظهر الحق للرئيس العام. لكن اخيراً دخل المصلحون فيما بينهما وأُعطي له ثمانمائة قرش

هذا ما كان من تاريخ دير قزحيا قبل قسمة الرهبنة الى حلبية وبلدية لبنانية وكان ذلك سنة ١٧٦٨. واكثر ما تقدم من هذا التاريخ منقول عن تاريخ السعيد الذكر المطران جرمانوس فرحات الشهير وقد انتهى من تحريره سنة ١٧٣٢ وهي سنة وفاته (ستأتي البقية)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ثم انه بعد قليل أُوصد الباب وبدأت الحفلة فجيء الى امام الشيوخ الثلاثة الجالسين في صدر الخلوة بشموع جديدة مع ورق ريحان وشيء من المحلب ومبخرة. واذ ذاك قام احد النصيرية وكان صاحب البيت واشار الى احد الحاضرين فقام وقبل يد الامام ويد النقيب الذي عن يمينه والآخر الذي عن شماله وبعد ان وضع يديه على صدره خاطب الحاضرين قائلاً:

— الله يمسيكم بالخير يا اسياد[illegible] صبحكم بالرضا و[illegible] هل ترضوني خادماً لكم في هذا العيد المبارك [illegible] صاحب العمل الشيخ علي الله يبارك عليه (١

فاجاب كل الجماعة قائلين: نعم

ثمَّ انَّ النصيري الذي رضي بهِ الحاضرون خادماً للسيد قبَّل الارض احتراماً لهم وطاعةً واخذ بيديهِ من ورق الريحان ففرَّق على الجماعة وهو يتلو الصلاة المسماة عندهم « سطر الريحان » وقد تلاها الحاضرون من بعدهِ واخذوا من ذلك الورق وفركوا بهِ ايديهم وشمّوا رائحتهُ. امَّا عبد الله فعمل بالتدقيق مثلما شاهدهم يعملون

وبعد ذلك اخذ خادم العيد طست ماء والقى فيهِ محلباً وكافوراً وقرأ صلاة عندهم يسمّونها « قدَّاس الطيب » ثمَّ سكب على يد الامام قليلاً من الماء المطيَّب وادار الطست على الجماعة فكان كل منهم يأخذ منهُ قليلاً في حفنتهِ ويمسح بهِ وجههُ

ثم انَّ الخادم المذكور تناول المبخرة ووقف قائماً وقرأ الصلاة المعروفة عندهم « بقدَّاس البخور » فلمَّا انهاها بخَّر الإمام وكل الجالسين على يمينهِ ويسارهِ. وكان عبد الله يراقب ذلك فقال في نفسهِ: حقًّا انهم يعملون كما نفعل في كنائسنا

ثمَّ انهُ لم يلبث ان زاد عجبهُ من حركة ثانية قام بها خادم العيد فانهُ تناول كأس خمر ووقف قائماً وقرأ صلاة اخرى ومن بعدها ناول الكأس الى الإمام وملأ كأسين غيرها وناولها الواحدة للجالس على اليمين والثانية للجالس على اليسار ومن بعد ذلك أُديرت كؤوس أُخرى على الجلاس الذين كانوا عند تناولها يتبادلون تقبيل الايدي

فلمَّا فرغ خادم العيد من هذا كلهِ عاد فوقف في وسط الغرفة ووضع يديهِ على صدرهِ وبعد ان طلب المسامحة عن اغلاطهِ وهفواتهِ قبَّل الارض ورجع فجلس في موضعهِ . وهنا تأتي نوبة الامام في الكلام فيسأل الجماعة هل يرضونهُ شيخاً لهم وسيداً ثم يتلو صلاة التبرز ويلحقها بصلوات اخرى سواها واخيراً بعد ان يمزج الخمر التي في كأسهِ بالخمر التي في كؤوس جيرانهِ يضع شفتيهِ عليها فيمتص قليلاً وحينئذٍ يتناول الحاضرون ما في كؤوسهم (١ وهم يترنمون باشعار للشيخ محمد بن كلازو:

ذكرتُ زماناً كان لي قبل مبطتي ففاضت دموعٌ من عيوني بحسرةِ
على طيب أيَّامٍ تبدَّل عزُّها بذلٍّ ومن بعد الامال بجنةِ
فكنَّا بدار العزّ في درج العلى نسيرُ مع الاملاك في كل روضةِ (٢

وقد طالت هذه الحفلة حتى قريب نصف الليل ومن بعدها أُطفئ قسم من

١) الباكورة ص ٣٦-٤٣

٢) راجع هذه القصيدة في الباكورة (ص ٦٣) وأكثر أبياتها مكسورة

الشموع ورُفعت المبخرة وكؤوس الخمر واتى صاحب البيت بقدر كبير من النحاس عليه ألوان واشكال من الاطعمة والحلويات فتقدَّم الحاضرون واخذ كل منهم نصيباً ثم ذهب كلّ واحد في سبيله صامتاً

وارتبك عبدالله وتتنذر في امره ولم يعرف كيف يعمل وحتى لا يعرفهُ احد لفَّ ذقنهُ بطرف كوفيتهِ حتى يختفي قسم من وجههِ وهمَّ بالخروج. غير ان الشيخ خضر اشار اليهِ ان يلحق بهِ. اماَّ الراعي فلبى الاشارة وسار طائعاً وهو على يقين بدنو الساعة المحتومة والاجل المبرم. فلماَّ وصل الاثنان الى وسط القرية حيث كانت الشوارع مقفرة من الناس التفت الشيخ خضر الى عبد الله فقال لهُ:

ماذا عملت ايها الجاهل هل سئمت الحياة. اوَ ما تعلم العقاب المعد لمن يحاول الاطلاع على اسرار ديانتنا ؟

فاجابهُ عبد الله شارحاً لهُ الاسباب التي ساقتهُ الى الخلوة مثلما تقدَّم بيان ذلك فقال الشيخ:

افرح لانك صادفتني بل لانك ايضاً قد سافرت للبحث عن آثار الاب يوحنا الرجل البارّ الذي تجلهُ وتكرمهُ كل طائفتنا نظراً لما لهُ علينا جميعاً من الفضل والمعروف. والآن فأحسنُ مشورة استطيع ان ألقيك اياها هي ان تغادر مريمين في الحال دون توقف ولا تردد فانهُ اذا طلع عليك صبح الغد وانت باقٍ عندنا يعرفك الناس ولا استطيع دفاعاً عنك. واعلم ان غير واحدٍ من جماعتنا قد ارتابوا في امرك لما شاهدوا على وجهك وفي حركاتك من آثار الارتباك وقت اجتماعنا في الخلوة. ومتى عدت الى حصن سليمان اذهب الى الرهبان وقُل لهم ان جوسلين نفى الاب يوحنا الى أخربة دير الصُّليب. ولا تطلب مني مزيد بيان بل اسرع في الهرب

اماَّ عبد الله فما صدَّق انهُ نجا من الورطة التي وقع فيها ففرح بخلاصهِ من وجه ومن وجه آخر ادرك الغاية التي اتى من اجلها وهي انهُ عرف المحل الذي حُبس فيه الاب يوحنا

واذ ذاك قبَّل يدي الشيخ خضر وبادر لمغادرة قرية مريمين وبالنظر الى خفة مشيهِ وحسن معرفتهِ بطرق جبل الحلو وصل صباح اليوم التالي عند طلوع الشمس الى المضيق الواقع غربي عين الشمس وبعد مسيرة ساعة ادرك دير القديسة تقلا فاخبر الرهبان

عن المكان الذي أبعد اليهِ الاب يوحنَّا رئيسهم. فلطَّف خبرهُ شيئًا من مرارة حزنهم وتأسُّفهم

١٥

وكان في دير القديسة تقلا راهب اسمهُ غرمانوس يحب الاب يوحنَّا محبةً عظيمةً ويقدّر قدر فضائله فلما علم بمحلّ منفاهُ اخذ يرسل اليهِ من مدَّة الى اخرى بواسطة عبد الله الراعي ما يحتاج اليهِ من القوت مع بعض الكتب حتى يتسلى بها في خلوتهِ الموحشة. وهذا كل ما كان في وسعهِ عملهُ مساعدةً لرئيسهِ المحبوب ومع ذلك فقد كان يفعلهُ تحت ستار الخفية محترزًا كل الاحتراز من ان يدري مضطهدو الرئيس البارّ بشيء منهُ

امَّا عبد الله الراعي فقام بالامر خير قيام ومن ذاك الحين طفق يسوق قطيعهُ الى ناحية دير الصُّلَيب واذا لم يقدر في بعض المرَّات على الذهاب يكلّف احد اصحابهِ من الرعاة النصيريَّة بايصال ما يحملهُ من المآكل الى الاب يوحنا. وكان اذا تشكَّت امرأتهُ من تكرُّر غيبتهِ عن البيت يقول لها: ان الابَ يوحنَّا قد اخلص لنا الوداد ولولا وساطته لكنتِ صرتِ الى اسوإ حال فلا يسوغ لكِ ان تتضجري من اي شيء كان نعملهُ لمساعدتهِ

— انك لتنطق بالصواب فاذهب كلما شئت وابذل ما في امكانك واننا لو اهرقنا آخر نقطة من دمنا في سبيل نجاتهِ لا نقوم الَّا بالواجب علينا

ولا نعلم هل درى جوسلين بالمساعدات التي كانت تصل الى الاب يوحنا من وقت الى آخر؟ او هل رأى ان معيشتهُ في منفاهُ لم تبلغ من المرارة الدرجة التي يشتهيها؟ بل غاية ما اتَّصلت اليهِ معرفتنا هي انهُ في ذات ليلة وفد زمرة من الخيَّالة دهموا الاب يوحنا في قلايتهِ بينما كان راقدًا ثم ايقظوهُ بعنفٍ واركبوهُ حصانًا واخذت الخيل تحضر بهم طول مدَّة الليل وقسمًا من صباح اليوم التالي. وكان ذاك الشيخ المسن كلما تباهل في السير بسبب النعاس وشدَّة اللغوب يوجه رفاقهُ من البدو اسنَّة رماحهم فينخزون بها زكويتهُ فتطير بهِ جريًا. وعلى هذه الصورة قطعوا سهل بعرين وناحية الحولة الخصبة وغوطة مريمين الخضلة ونحو الساعة العاشرة من الصباح وصلوا الى خربة التين وهي على طريق العربات الممتدَّة الآن بين طرابلس وحمص

والى يسارهم على مسافة ساعتين وراء ستر كثيف من الاشجار نابتة على حواشي النهر العاصي كانت تبين ابراج القلعة ومآذن حمص متلألئة تحت انوار الشمس . وامامهم كان ينبسط سهل « الوعر » تكثر فيه الحجارة السوداء

وبعد راحة قليلة استأنف الخيالة المذكورون سيرهم ومالوا في سفرهم نحو الشرق متحايدين مدينة حمص . وكان على مسافة عشرة كيلومترات من هذه المدينة بحيرة تدعى بحيرة قدس (١ وتسمى اليوم بحيرة قطينة طولها ثمانية عشر كيلومترا ومتوسط عرضها اربعة او خمسة كيلومترات وفي جنوبها سهل مكسو بالخضرة الناضرة تشقه الجداول والاقنية المتفرعة من العاصي . وقد برزت في قلب السهل من بين الاشجار والنبات الخضل قمة تتوجت بقبة بيضاء على اسم النبي مند . وقصا السهل مسدود بروابي لبنان وجبال عكار التي تختلف مشاهدها متلونة بالازرق او الاحمر الوردي على حسب ساعات النهار وترتفع رؤوسها شامخة في الجو ومتعممة بالثلوج الدائمة التي تتألق تحت انوار الشمس

وعند ضفة البحيرة الغربية مستنقعات واسعة تأتي اليها قطعان الجواميس فترعى ما بين منابت القصب المرتفعة ولا سكان الا في الضفة الشرقية المتكونة من تعاقب الأتربة والاراياف الصغيرة فانه فوق الصخور المطلة على البحيرة او بالقرب من جون هناك مستدير قامت بعض قرى لها منظر كالح عبوس بما فيها من المنازل الواطية المبنية بحجارة بركانية سوداء . اما في القرن الخامس عشر فقد كانت اوفر اناقة لان غابات الدفلى والرمان والساج والخلاف وغيرها من الاشجار كانت تزيل بعض الشيء من عبوسة منظرها وجفانه

ففي وسط هذا الاطار اللطيف الناضر الذي تقدم وصفه كانت تتألق مياه البحيرة . وكانت في الجهة الجنوبية على مسافة كيلومترين من مصب العاصي فيها جزيرة تدعى تل التين اكتست ارضها بالاشجار والنباتات حتى صارت اشبه بطاقة زهور فوق بساط من الماء . وهي بيضية الشكل يبلغ طولها نحو ثلاثمائة متر في عرض مئتين تقريباً وفي ناحيتها الغربية رابية مخروطة الشكل تغوص قاعدتها في مياه البحيرة وحتى الآن

١) ياقوت وابو الفداء

لا تزال فيها آثار بنايات عتيقة كانت في القرن الخامس عشر محفوظةً بهيئة صالحة لايواء الناس

والسكّان على ضفّة البحيرة ما برحوا حتى اليوم يأتون هذه الجزيرة فيزرعون فيها بعض النباتات والاشجار والحبوب ويذهبون اليها على جسورةٍ مشدودة بدلًا من القوارب التي كان يتخذها القدماء لهذه الغاية . غير ان اتصالاتهم مع الجزيرة كثيرًا ما يعرض لها التقطُّع لان الريح الغربيَّة التي تمرّ في وادي النهر الكبير تهبّ عامَّة السنة تقريبًا كإعصار شديد يثير مياه البحيرة وتشتدّ خاصةً في ايام الصيف فتتعالى الامواج لاطمةً بغير انقطاع لسدّ الجزيرة الشماليّ وضفافها

وكانت ضواحي بحيرة قدّس في ما خلا ايام العواصف المتقدم بيانها ذات منظر عجيب يسبي الابصار بحسنه لانّ الالوان تمتزج بالنور امتزاجًا مذهلًا وكل شيء يكتسي بحلة من الغبار الذهبي الدقيق تحت جوّ مشرق ومعتدل معًا فكان لهذا المنظر تأثير بليغ لا يقوى قلم على وصف جماله الباهر . ومن دواعي الاسف ان المبالغة في قطع الغابات والاحراج ذهبت بمثل هذا المشهد الفتّان الساحر للعقول

ولا ريب ان القارئ يتوهّم بعد هذا الوصف ان الجزيرة كانت آهلةً بوجوه باشَّة تتنعَّم بمرأى المياه الهادئة البرّاقة وان تلك الضواحي التي تأخذ بمجامع القلب عامرةً بأناس انتفت الهموم من قلوبهم وفارقتهم دواعي الغم واسبابهُ . غير ان ما اتصل بنا من اخبار جزيرة قدس يصوّرها باشنع الصفات مثلًا اياها كسجن ومنفى تفيض فيهِ دموع الاحزان وتكثر التنهّدات والهواجس المقلقة . فانَّهُ في هذه الجزيرة القفراء أُلقي الاب يوحنا ضحيَّةً لغضب جوسلين وحقدهِ ومن ذلك الحين انقطعت اخبارهُ وظن الناس انهُ قد مات وكلهم قالوا بان صاحب قصر القليمة هو الذي تسبَّب بموتهِ مضيفًا بذلك اثمًا جديدًا الى سابق فظائعهِ المنكرة (ستأتي البقيَّة)

التساهل الديني

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

من اعظم آفات العصر التي ابتلانا بها التمدّن الجديد منذ ربوعهِ في بلادنا انتهاكُ حرمة الآداب والحرص على حطام الدنيا ولذّاتها . فلمّا رجح في قلب الانسان حبُّ

العاجلة خفَّ فيه اكتراثهُ للآجلة. والاستخفاف بالآخرة لا يكون الّا من نقص في الدين وتلك الطامَّة الكبرى تذهب بالعاجلة والآجلة معاً

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ

على إنَّ قلة الدين لا تظهر فقط بالعدول عن فرائضه اللازبة او بالمجاهرة بالكفر بل كثيراً ما تبدو للعيان بطرائق خفيَّة تتستَّر برداء الصلاح. فتارةً يدعي اصحابها انهم استضاؤوا بانوار التمدن وتارةً يدَّعون انَّ الدين يحسن بالاحداث والنساء. وحيناً ينسبون اهل التقى الى التعصُّب وطوراً يزعمون انَّ الكهنة يبالغون في اطراء الدين لأغراض شخصيَّة الى غير ذلك من الحجج الواهنة التي يستمسك بها هؤلاء الملحدون رجاء ان يردُّوا عنهم سهام الملامة او يخدعوا السذَّج فيستميلوهم الى آرائهم الفاسدة

ولعلَّ اقبح ما جاء من هذا القبيل زعمٌ تشدَّق به بعض الزنادقة وتناقلهُ عنهم الاغرار وهو ان ثبت لا يلبث ان يطمس معالم كل دين وينقض ركن كلّ ادب ألا وهو مبدأ التساهل الديني. وما ادراك ما التساهل الديني؟ فانهُ سمٌّ ظاهرهُ دسم او صلٌّ لين اللمس يذيق الموت الاحمر

فقبل الخوض في هذا البحث لا مُندحة من تحديد هذا التساهل وبيان غثّهِ من سمينه فنقول:

اوّلًا لا ننكر انهُ يترتب على تبعة الاديان على اختلاف نزعاتهم ان يعيشوا بالتحابّ والالفة وان يتعاضدوا في كل ما يؤول الى خير وطنهم ويتضافروا في نجاح امورهم الزمنيَّة ويتكاتفوا في ترقية الهيئة الاجتماعيَّة في العلوم والاداب والصنائع والفنون

ثانياً ليس لاحد ان يعترض لآخر فيجبرهُ كرهاً على اتباع دينهِ ولو تحقَّق بلا ريب صحَّة دينهِ وفساد دين غيرهِ. كما انهُ يتحتم عليه بألّا يستطيل في عرض آخرَ ويندد بشخصهِ لاختلاف دينهِ

ثالثاً يقتضي على ارباب الامر والنهي الّا يكرهوا رعاياهم على التديُّن بدين خاص وعليهم ان يسهروا على راحتهم ويصونوا حرّيتهم تماماً ما لم يتخذ بعضهم الدين كوسيلة لإلقاء الشغب وبذر الفساد ورمي الفتن فانَّ للحكومة حقًّا ان تضع حدوداً

لمثل هذا التطاول وتقصّ من جناح المتدين

هذا التساهل الديني الذي نسلّم به ولا يأباهُ احد من الكاثوليك بل من كلّ اصحاب الاديان. لكنّ الذين ينادون بهذا التساهل لا يكتفون بما سبق وانّما يريدون ان يعتبر كلّ انسان بقيّة الاديان اعتبارهُ لدينهِ ولا يحاول ان يقنعهم بصحّة معتقدهِ. وهم يبنون زعمهم على مبدأين باطلين يثلان ركني الهيئة الاجتماعيّة اعني الدين والادب

(فالمبدأ الاوّل) الذي يسند اليه هؤلاء القوم قضيّتهم هو انّ الاديان ينافي بعضها بعضاً فيثبت هذا ما ينكرهُ ذاك. فالأولى اذن ان يعتقد كلُّ واحد ما شاء في باطن قلبهِ ولا يكترث لما يؤمن بهِ غيرهُ لانّ دينه ودين غيرهِ سيّان في الصحّة او الكذب

فهذا المبدأ كما ترى كلّهُ شطط يؤدّي بقائله من اي دين كان الى الكفر توّاً اذ لم يبقَ لاحد ندحة ان يدافع عن دينهِ او يثبت صحّتهُ بل لا يجوز لهُ ان يجاهر بوجود الاله عزَّ وجلَّ او يقرّر حقيقة القيامة او يثبت كيان حياة اخرى لانّ هذه الحقائق ايضاً ينكرها الملحدون « زنادقة » كما ينكرون خلود النفس ويعلّمون بانهُ ليس من فرق جوهريّ بين الانسان والبهيمة بل انّ الانسان والبهيمة لا يختلفان عن المادّة جوهريّاً

ثمّ ان هذا المبدأ الكفري يقوّض بنوع خاصّ ديانتنا المسيحيّة وتعاليم الانجيل الطاهر. فان ابن الله علّمنا طريق الخلاص وكرّر مراراً لتلاميذهِ « ان السماء والارض يزولان وكلامهُ لا يزول » ثم ارسل تلاميذهُ الى العالم اجمع « ليبشروا بكل ما علّمهم مهدّداً بالهلاك كل من لم يؤمن ». وكذلك اثبت رسلهُ للمؤمنين انهُ يقتضي عليهم بان يستمسكوا بتعاليمهم ولا يتركوها « ولو اتاهم ملاك من السماء يبشرهم خلاف ذلك ». ثمّ مات هؤلاء الرسل كما مات رئيهم شهداء ايمانهم وفضّلوا انواع العذاب على جحودهِ الى ان تغلّب هذا الايمان على الدول والممالك وثبت مع ما اصابهُ من المحن والاضطهادات وهو اليوم اقوى من امس وسيبقى غداً كما هو اليوم « لأن ابواب الجحيم لن تقوى عليهِ ». فكيف يأتينا هؤلاء الكفرة ويبشّرون بالتساهل الديني كانّ ديننا بضاعة نتاجر بها ونتصرّف بها كمتاع الدنيا. فللهِ من جهل هؤلاء لامور الدين لا يعرفون منهُ حرفهُ الاول بل قبحاً لهم ما اشدّ كفرهم واعمى قلبهم

هذا وان فحصنا مبدأهم السابق فحصاً منطقيّاً لوجدناهُ اوهن من نسيج العنكبوت يقولون ان الاديان تتناقض وتتضارب فاذن كلها باطلة. أفلا ترى ناشدتك الله انّ هذا

القياس سفسطي وانَّ النتيجة اوسع من المقدمات. فكم من الامور التي تكاثرت فيها أقوال الناس وآراؤهم المتباينة أفذلك دليل على انهُ ليس لها وجه صوابي فان صحَّ هذا القول لا اظنّ يثبت من الحقائق الّا النزر القليل فتسقط اشرف العلوم واصدقها كعلم الكلام وعلم الفلسفة وعلم التاريخ وليس بين كلّ هذه العلوم حقيقة واحدة الّا جحدها بعض الناس. فكذلك حقائق الدين فانَّ جحود بعض الجهّال لها لا يثبت كونها فاسدة. أفيبطل كون الله واحداً لانَّ الصيني او الهندي يدين بالشرك ويعبد الاصنام ؟ او ليس يثبت مجيءُ المسيح لانَّ اليهودي ينكر علينا ذلك ؟ فليحكم المنصفون وليبكم الجاحدون

وان اعتبرنا (المبدأ الثاني) الذي يعتصم به اصحاب التساهل الديني وجدناهُ ليس باقل فساداً من الاول. يقولون انّ كل الديانات حسنة وليست هي الّا هيئات عرضية يعبد بها البشر إله الطبيعة

فرجع هذا القول الى ان كلّ الديانات اختراعات بشرية ليس لبعضها فضل على الآخر. لانهُ كيف يمكننا ان تكون من الله وفيها من التناقض ما فيها. او يستطيع الله ان يوحي بالوقت نفسهِ لاهل اوربة انهُ واحد ولاهل الشرق الاقصى انهُ متعدد او يوحي للمسيحي انهُ مثلّث الاقانيم ولغير المسيحيّ انهُ متفرّد الاقانيم كما هو متفرّد الجوهر. فمن قال اذن انّ كلّ هذه الديانات هي حسنة لا بدَّ ان ينسبها الى البشر وينكر في الوقت ذاته الوحي الالهيّ. وعليه فلا يبقى للانسان الّا ان يستسلم لكل اهواء قلبه لانهُ يجد في بعض هذه الديانات ما يزكّي به اميالهُ المنحرفة ويتبرأ من كلّ شهواته فيرجع الى كلّ فظائع الوثنيّة وآثام المشركين. وقانا الله من هذه الارجاس وصاننا من القول بمثل هذه الترّهات

وكنّا وددنا لو سمح لنا المكان ببسط هذا البحث وبيان اكاذيب اصحاب التساهل الديني وتفنيد اقوالهم الفاسدة غير ان كثرة الموادّ في هذا العدد من المشرق تضطرنا الى ان نجتزئ بما تقدم شرحهُ ونختمهُ ببعض ما كتب ذلك السيد الجليل والكاتب الضليع جمال الدين الافغاني في رسالته عن الدهريين (ص ٢٢) وفي كلامهِ شهادة حسنة على ما نحن في صددهِ. قال عن النيشريين اعني اصحاب التساهل الديني:

هؤلاء جحدة الالوهيّة في اي امّة وباي لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع اساس هذا القصر المقدس الشكل. قصر السعادة الانسانيّة . . . . . اعاصير أفكارهم تدكدك

هذا البناء الرفيع وتلقي بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط بهِ من عرش المدنية الانسانيَّة الى ارض الوحشيَّة الحيوانيَّة

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافَّة وعدُّوها اوهامًا باطلة ومجعولات وضعية وبنوا على هذا ان لا حق لملَّة من الملل ان تدعي لنفسها شرفًا على سائر الملل اعتمادًا على اصول دينها بل الاليق بها على رأيهم ان تعتقد أنها ليست اولى من غيرها بفضيلة ولا اجدر بمزيَّة ولا يخفى ما يتبع هذا الرأي الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد المعالي كما تقدم بيانه

فنعم القول وبئس من ينكرهُ. وهو احسن جواب لكرَّاسة حديثة طُبعت في نيويرك لا نذكر اسم صاحبها انفةً وانَّا نأسف على الجمعيَّة الخيريَّة المارونيَّة في تلك المدينة حيث اذنت لمثل هذا الخطيب ان يلقي خطبتهُ في التساهل الديني بين قوم من الكاثوليك من شأنهم ان يعدُّوا الدين افضل كنوزهم. فأيمُ الله لو لم تكسبنا المهاجرة الى اميركة غير هذه الآفة لحقَّ لنا ان نرثي لبنان ونستنزف على بهائهِ المفقود دموع عيوننا

شذرات

حلّ اللغز الذي اثبتهُ في العدد السابق من المشرق حضرة الاب الياس

قد حلَّ هذا اللغز كثير من الادباء ذكرنا ابياتهم حسب تاريخ ورودها:

يا راهبًا من افضل الرهبانِ	يا ساميًا بالعلم والعرفانِ
يا راغبًا في كسب كلّ فضيلة	يا زاهدًا (بالمالِ) ذي الطغيانِ
العزتَ فيما قد زهدت بهِ ولم	تحفل سوى بعبادة الرحمانِ
(فالمال) ربٌّ للورى مستعبدٌ	(خيديرهُ بسنائهِ الفتَّانِ)
وهو اللاليُّ الذي بجمالهِ	يسبي فؤاد الهائم الولهانِ
واذا جعلت الرأس منهُ مؤخرًا	ألمًا غدا بل مغرسَ الاحزانِ
واذا وضعت القلب موضع رأسهِ	فجعلت (اوَّلهُ محلَّ الثاني)
فترى بهِ (املًا) ولولا فسحة ال	آمال ضاق العيش بالانسانِ
ولقد نهيتُ الناس عن شغفٍ بهِ	اتردُّ عنهم نقمة الديَّانِ
لكنَّما الاعداء تسلبنا الهدى	فنتيهُ في البيداء كالعميانِ
اعداؤنا شهواتنا انضمَّت بها	لمنا وعالمنا الى الشيطانِ
فالاصفرُ الرنَّان ساد على الورى	فازال نور الحسن والاحسانِ
ذبح الفضيلةَ والعدالة والتقى	طمن الشهامةَ والعلى بسنانِ
فصمَ القلوب فيا لهُ من مُفسدٍ	فصل الميالَ وعاث في الاكوانِ
والالفة الغرَّاء من تغريرهِ	تبكي الحمامَ بنوح في الاغصانِ

وبهِ الخيانة وطّدت اطنابها   والغدر صار معزّز الاركانِ
ان رمت تنجو من مخالبهِ لكي   تقضي حياتك ناعماً بامانِ
فاجعل لنفسك ليس كثر المال بل   حبّ الاله وخدمة الانسانِ

لجناب انطون بك شحيبر وكيل دعاوى

يا ملغزًا في المال مال فؤادهُ   عنهُ ومالَ الى حمى الرحمانِ
الخالق الازليّ والفرد الذي   وجبت عبادتهُ على الانسانِ
كم عاقل لام الورى في قنيهِ   وبدون قلبهِ ملّ من لهُ عانِ
ويح ابن آدم كيف يكفر نعمةً   جاءتهُ للاصلاح والاحسانِ
فالمال للانسان عدّة عيشهِ   ليقوم بالتمجيد والسبحانِ
لكنّهُ يثنيهِ عن غاياتهِ   ويقول عنهُ آلة الطغيانِ
بل انت تظلم يا ابن آدم بعد أن   فرّطتَ بالاجحاف والنكرانِ
فالمال مثل السيف ان جرّدتهُ   لطوارق الايّام والحدثانِ
يحمي الذمار مشرَّفًا ومكرَّمًا   واذا انتحرتَ بهِ فانت الجاني

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني

يا من اسهُ بالعلم خير مكانِ   وسما بحكمتهِ على الاقرانِ
الغزت باسمٍ لا يزال مكرّماً   وكانّهُ في الكون ربٌّ ثانِ
لولاهُ ما عاش الانام ولم يجُز   زيد على عمرو خصال رهانِ
نبطت بهِ الآمال من عبدانهِ   في ذا الزمان لنيل كل اماني
يدعُ الجبان لدى الوقائع ضيغماً   والعيّ يجعلهُ فصيح لسانِ
لام الورى في قنيهِ من حازهُ   من غير بذلٍ منهُ للاحسانِ
وظنّت توطئةً لهُ لكنّما   بالمال لغزك ظاهرٌ لعيانِ
فاليك مني ما طلبت وانني   لا ابتغي في حلهِ شكراني

للشمّاس يوحنّا الخوري العنداري احد اساتذة مدرسة الحكمة الزاهرة

الغزت بالرب الذي يُلقي الأُولى   دانوا لهُ في هوّة النيرانِ
هل يختفي عن اعين ترتادهُ   والمال في الاكوان ربٌّ ثانِ

لجناب عيسى افندي اسكندر معلوف

يا طالبًا للحلّ لغزًا قد اتى   بمجلّةٍ للعلم اضحت مشرقا
الغزت في « مالٍ » فانْ أخرت رأ   س حروفهِ « الم » بدا فيهِ الشقا
ثانٍ بهِ ان قد بدلت باوّل   « امل » غدا منهُ الشقاء محققا
قد رقّ شعرك في طلاوة وضعهِ   والمعنى راق بهِ فزادهُ رونقا

لجناب ميشل افندى الياس سماحه

يا ملغزًا باسمٍ ثلاثيٍّ سبى … بجمالهِ وسنائهِ الفتّانِ
المال لغزك قد يُرى اصلٌ بهِ … بقيام اولهِ مقام الثاني
ويحولني الأمُّ لدى تأخيرهِ … من وقعهِ قد غبتُ عن وجداني
لجمالهِ قد كان كلٌّ عاشقًا … من عصبة الفقراء والاعيانِ
منهم لقد عبدوهُ ثانيَ ربّهم … شططًا كمثل عبادة الاوثانِ
والبعض يحسبهُ الالهَ بذاتهِ … يا ويلهم من سخطة الديّانِ
انَّ الحصول عليهِ امرٌ واجب … وبدونهِ لا عيش للانسانِ
والنفس ما خلصت بغير وجودهِ … من شرّ جهل حقائق الايمانِ
لولاهُ ساد الجهل في الدنيا وما … في ذا الكلام سوى جليّ بيانِ

لجناب نخله افندي يوحنا نصر

أُلغزت في اسمٍ شاق اهل زماني … فتجرّعوا غصصًا من الاشجانِ
حجّوا لكعبتهِ وشدّوا رحلهم … من شاسع الاقطار والبلدانِ
وتراكضوا وتسابقوا وعدوا الى … مثناهُ رَسَلًا مثل خيل رهانِ
مالوا وما ملّوا وقد ذلّوا فهم … عشّاق شائق قدّهِ الفتّانِ
قد مولًى ذكرهُ ساد الورى … بسنائهِ يسبي حجى الانسانِ
هو «المال» أخّر رأسهُ وجزاهم … «المًا» ينغّص راحة الابدانِ
هاموا بحبّهِ خالعين عذارهم … واعتاضوا عن خلد البقاء بفاني
عهدي بهِ «املٌ» جليٌّ في الملا … «مذ حلّ اولهُ محلّ الثاني»
يا جامعًا للمال يملُّ عنهُ فرا … حتهُ ضنًا ورجاهُ خيب اماني

حلمي مصري احد تلامذة صفّ البيان في كليّتنا

يا سائلي عن لفظةٍ عجيبةٍ … انّي ألبي سؤل من يستخبرُ
اللغز «مالٌ» والحريص يعزّهُ … فيزور يومًا ثم يومًا يهجرُ
حتّى اذا تمّ البعاد اناله … تأخيرُ رأس عند رجلهِ ينظرُ
«المًا» عظيمًا فادحًا فيهِ الضنى … والدمع منهُ على فراقهِ يقطرُ

ميشال بيطار تلميذ الصفّ الثالث فيها

يا طالبًا تفسير لغزٍ مبهمٍ … عن حلّهِ سأجيب بالبرهانِ
اللغزُ «مالٌ» والانام تحبّهُ … فهو لهم ربٌّ جليل الشأنِ
ان قلتَ ذا «أمل» فصحّ حقيقةً … مذ حلّ اولهُ محلّ الثاني
«ألمًا» يصير اذا تأخّر رأسهُ … فيذيق طالبهُ شجى الاحزانِ

يوسف حنا السوداء تلميذ الصفّ الخامس فيها

اصل حروف القسم وياء المتكلّم واللام الجارّة — جوابٌ لسؤالٍ اقترحناهُ في مجلة المشرق (٤ : ٢٣٩)

جوابٌ أوّل لحضرة القس الفاضل مبارك ثابت اللبناني :

طالعت العدد الخامس من مشرقكم الاغرّ من السنة الحاليّة فرأيتُ فيه سؤالًا بشأن حروف القسم اقترحتموه على القراء ، ولمّا لم يتصدَّ للاجابة احد رأيت ان أصوّب الى الغاية سهم الاجابة فان اصبى فهو والّا فقد تطيش سهامٌ فاقول : لي في حروف القسم قولان

١ ان اصل قولهم : والله « اقول وشهادة الله عليَّ » . لان معنى القسم استشهاد الله . ثم حُذف المضاف وبقي المضاف اليه مجرورًا وبقيت الواو دليلًا على المحذوف وحذف لفظ « عليَّ » لتعلّق معناهُ بشهادة المحذوفة فصار الكلام « والله » وتنوي الحذف فاعتُبرت الواو جارّة لنيابتها عن الجار المحذوف وهو المضاف . واصل قولهم : تالله . « اقول وشهادة الله عليَّ » . حذف من الكلام ما حُذف مع « والله » الّا التاء من شهادة فصار الكلام « تالله » . واصل قولهم بالله : « بشهادة الله عليَّ » . فالباء في « بشهادة » هي بمعنى الواو في « وشهادة » حُذف من الكلام ما حُذف مع والله فبقيت الباء كما بقيت الواو فصار « بالله »

٢ اذا قلنا ان القسم هو استدعاء الله للشهادة ساغ لنا ان نقول ان اصل : والله « اقول واستدعي شهادة الله عليَّ » حُذف كل ما بعد « اقول » الّا الواو ولفظ الجلالة . وان اصل : تالله . « اقول واستدعي شهادة الله عليَّ » . حُذف كل ما بعد « اقول » الّا تاء الشهادة واسم الجلالة . وان اصل بالله : « اقول باستدعاء شهادة الله عليَّ » حُذف كل ما بعد اقول الّا الباء واسم الجلالة وهذا الوجه قريب من الاول

ولي فيها وجه ثالث ضعيف وهو ان هذه الحروف بقايا ضمائر محذوفة على تقدير ان القسم المحذوف مبتدأ واسم الجلالة المجرور خبر فيكون اصل : والله « قسمي هو الله » حُذف ما قبل الواو فجرّت لان الاصل في الحروف ان تجرّ

امّا ياء الضمير في المتكلّم في نحو « كتابي » فلا مانع من ان يكون الاصل فيها : « كتابٌ ملكٌ لي » . حذفت لفظة « ملك » اختصارًا لدلالة حرف اللام عليها فصار « كتابٌ لي » ثمّ حُذفت اللام تخفيفًا فصار كتابي وقد ذكر ذلك النحاة . وامّا اللام الجارّة الدالّة على الاختصاص في قولنا : « لله الحمد » فاظن ان اصل الكلام : « خصَّ الله لنفسه الحمدَ » . ثم حُذفت « النفس » اختصارًا فدخلت اللام على المضاف اليه فصار : « خصَّ الحمد لله » ثم حُذف الفعل لدلالة اللام عليه ثمّ قُدّم لفظ الجلالة لتحقّق الاختصاص فكان لله الحمد

جوابٌ ثانٍ لجناب الاديب يوسف افندي فاخوري

من اي كلمة او كلمات مقطوعة الألفاظ الآتيـة المصدَّر بها اسم الجلالة :
والله وبالله وتالله . اجيبَ ان اصل هذه العبارات اقسم بالله واقسم والله واقسم تالله او والله قسمي وتالله قسمي . والاحرف هي احرف جرّ فالباء مشتركة بين القسم وغيره والواو والتاء مختصتان به . وقد اجازوا ذكر فعل القسم مع الباء لانها امُّ الباب وامهات الابواب يُتوسَّع بها ما لا يتوسَّع بغيرها . والتاء لا تُجرّ بها الّا لفظ الله فتقول: تالله لأفعلنَّ . وقد سُمع جرُّها لربِّ مضافًا الى الكعبة . وسُمع ايضًا تالرحمن . وقيل انهم قالوا تَحياتك وهذا غريب . ولا بُدَّ للقسم من جواب يربط امَّا باللام او بإن اذا كان الجواب خبريًا واماً اذا كان منفيًا فيربط بالاداة الداخلة عليه واكثر ما تكون ما وتكون إن ولن ولا . ويربط بألا ان لم يكن شي . مما ذكر ولا اظن احرف القسم مقطوعة من الفاظ مستقلة فان قلنا انَّ الواو هي حرف من فعــل اصلهُ ادعو الله لاستشهدهُ عليَّ بكذا واستلفتُ الرحمن الى كلامي واطلب الله شهيدًا عليَّ فبنيت بعد حذف ما تقدَّمها من الاحرف وجُرَّ بعدها الاسم لانَّ المجرور مفعول به غير صريح لطُلب الينـا ان نُقيم ادلَّةً بيّنة او نورد كلامًا للمتقدمين في هذا الشأن وليس لنا شي . من ذلك في كتب اللغة او النحو او الصرف . ومثل هذا ان قلنا اصلها « وَعْد الله » لوجب ان نبرهن على صحَّة القول برهانًا لا يُردّ ولا نجد بدًّا من الرجوع الى ما نصَّهُ ائمة اللغة من انَّ الواو والبـاء والتاء حروف جرّ فالواو والتاء مختصَّان بالقسم والباء تشترك فيه وفي غيره

٢ ما اصل ياء الضمير في كتابي . قلتُ: اصل العبارة « كتابٌ لي » لانَّ الإضافة هنا معنويَّة للملك واذا كانت للملك او لشبهه كانت بمعنى اللام فلمَّا حُذفت اللام صارت « كتابُي » فأصبحت من باب المضاف والمضاف اليه فطرح التنوين تخفيفًا صارت « كتابُي » فلم تصح الياء بعد ضمة أُبدلتْ كسرة . ولذلك قلنا في اعرابها منع من ظهور الحركة اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة رفعًا ونصبًا وجرًّا وان حُركت الياء في حالة النصب فحركتها للتشبيه بحركة الياء الاصليَّة وما المراد من ظهور الفتحة عليها كونها اصبحت ملقى للاعراب كالتاء في نحو الضاربة

٣ اللام الجارَّة الدالَّة على « الاختصاص نحو لله الحمد » و « للمؤمن الجنَّة » . قلتُ اصل العبارة الحمد خصَّ بالله والجنَّة مختصة بالمؤمن فلاختصار العبارة ادخلوا اللام

عليهِ التي هي للسالك او لشبهِ كما في قولهِ « لله ما في السماوات وما في الارض » انتهى

الصفراغون — اتانا كتاب لحضرة الاب جبرائيل قرياقوزة الكلداني البغدادي ينتقد على جواب حضرة الاب انستاس الكرملي بخصوص اصل هذه اللفظة (راجع المشرق ٤ : ٩٥٧،٧٣٢ و ١٩٩ : ٤) . فاقتصرنا بالاشارة لئلا يطول الجدال دون افادة كبرى للقرَّاء .

علم الضياء — اكتشف صاحب الضياء غلطة طبعيَّة وقعت في الطبعة الاخيرة من كتاب القواعد الجليَّة بغياب مؤلفه فكان ورد في الصفحة ٢٢ من الجزء الاول : « وَجْهُ يُوَجَّهُ ايجهُ » والصواب « وَجَأَ يُوجَأُ إيجأً » فقام المنتقد وقعد وملأ صفحتين من ضيائهِ شتمًا للآباء اليسوعيين وتشنيعًا على « تآليفهم المشحونة من الاغلاط الفظيعة والتهورات الشنيعة التي لا يُعنى منها احد ممن ساقهُ الغرور الى دخول مدارسهم » . فبيَّن الشيخ بذلك لكل ذي عينين ما جُبل عليهِ من الادب والانصاف وسموّ المدارك

مطبوعات شرقية جديدة

NANKIN PORT OUVERT
par le P. L. Gaillard s, j., Chang-hai 1901, p. 483

لم يمضِ علينا سنة منذ نعت لنا اخبار باكين وفاة احد مشاهير المرسلين اليسوعيين الاب لويس غليار الذي احرز لهُ بتآليفهِ عن الصين شهرة مستفيضة بل يصح ان يُقال فيه انهُ ذهب شهيد العام . قدم باكين قبل الحوادث الفجعية التي حدثت في الصيف الاخير بشهرين لينجز فيها تأليفًا مهمًا وضعهُ في تاريخ نانكين فانكبَّ على البحث والتنقيب انكبابًا اتلف صحَّتهُ بعد شهر من الزمان فتوفي بين ايدي السيد فافيار اسقف باكين والآباء اللعازاريين الذين لم يدَّخروا وسعًا في شفائهِ . امَّا الكتاب الذي الَّفهُ فقد نجز اليوم طبعهُ وهو في الحقيقة طرفة تبقي لصاحبها ذكرًا مخلَّدًا . والكتاب يتضمَّن فضلًا عن آثار مدينة نانكين اغنى مدن الصين واوسعها تجارة تاريخ كل المخابرات الدوليَّة منذ عهدة تيان تسين الى سنة ١٩٠٠ ثمَّ اخبار المرسلين الذين دخلوها منذ اواخر القرن السادس عشر الى عهدنا مع لمحة عن كلّ احوال المدينة في أيامنا . وفي الكتاب عدَّة تصاوير جميلة محكمة الصنع ورسوم دقيقة . وهذا التأليف قد طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في شنغ هاي وهو القسم الثامن عشر من مطبوعاتهم عن الصين — ل . ش

اسئلة واجوبة

س سألنا الاديب ي. جبّل هل صحيحة هي المعجزة التي يدعي بها بعض الطوائف بخصوص ظهور النور في قبر المسيح يوم السبت العظيم

النور في قبر المسيح

ج لا صحة لهذه المعجزة كما يشهد كل المؤرخين منذ نيف واربعمائة سنة. ولا نظن ان احدًا من عقلاء الناس يصدقها. وكفى على ذلك برهانًا انّ مصطنعي هذه الاعجوبة يختفون عن العيان لاجرائها. امَّا النور الذي يوقد بالقبر فانهُ يوقد على الطريقة المادّية

س وسأل الاديب ل. لطفي هل عُرفت اميركا قبل كريستوف كولمب وان لم تُعرف كيف وصل اليها بنو آدم

اكتشاف اميركا ودخول بني آدم اليها

ج اجبنا على هذين السؤالين في المشرق (٢: ٢٨٦) وزدنا عليهما انّ النصرانيَّة دخلت اميركة قبل كريستوف كولمب لاسيَّما اميركة الشماليَّة فليُراجع

س وسأل حضرة الاب نعمة الله خوري حدتون اين اخذ القديس بولس في رسالته الى العبرانيين (٩: ٤) قولهُ عن تابوت العهد انهُ كان يتضمَّن ما خلا لوحي العهد كما جاء في اسفار العهد القديم (لاو ١٦: ١٢ عدد ١٧: ١٠ والملوك الثالث ٨: ٩) عصا هارون التي ازهرت

عصا هارون في تابوت العهد

ج اخذ القديس بولس قولهُ هذا عن تقليد متواتر كان شائعًا بين اليهود. ولنا على ذلك شاهد صدق في قول ربَّانيين شهيرين لاوي بن جرسون وابربانيل وكلاهما يثبت قول الرسول في رسالته المذكورة ل. ش

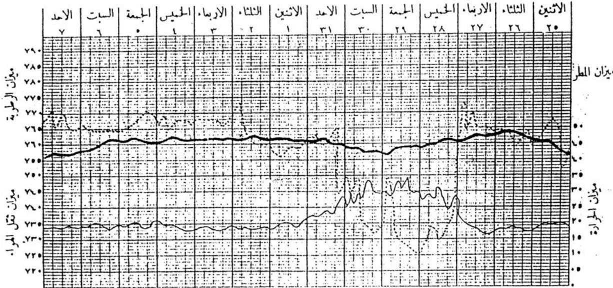
س وسأل الاديب ح. قرداحي ما معنى لفظة شلوق واشتقاقها. ومن اين تأتي هذه الريح

اشتقاق لفظة الشلوق وتعليل هذه الريح

ج الشلوق (ويقال شلوك) لفظة اخذها العامَّة في المدن الساحليَّة من الايطاليين وهي في لغتهم scilocco ويقال scirocco امَّا اللفظة الايطاليَّة فاصلها من العربيَّة «شرقي». وهي الريح الشرقيَّة او الشرقيَّة القبليَّة تمرّ على بيداء الشام وصحاري سورية المتوسطة فتتشرَّب حرارتها ل. ش

(اصلاح غلط) صفحة ٧٣ سطر ١٦ «قرَّر» والصواب «التي قرَّر» = ٢٤: ٩ «ادقش» ص «ارقش» = ٧٨: ١ «الرندر» ص «المرندد» — ١٠ «وضعها» ص «وصفها» — ٢٢ «مادة عَرْبَة» ص «عَرْبَد» = ١٣٨: ١٦ «لاَريو» ص «لاَريوس» = ١٤٣: ١ «يقيم الامر» ص «الاسرار» = ٢٠٠: ١٥ «بوحدانيَّة» ص «بواحدانيَّة» — ١٩ «تقدُّم» ص «تقدَّم»

قائمة للآثار الجوية من ٢٥ اذار الى ٧ نيسان ١٩٠١



انَّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) اما الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالمِلمترات وعُشر المِلمترات